الرسالة الخامسة

الأحــــرف

التي أنزلت على آدم

[ ][1] وسُئل شيخ الإسلام (أبو العباس تقي الدين ابن تيمية)[2] قدس الله روحه عن رجلين تجادلا في الأحرف التي أنزلها الله على آدم، فقال أحدهما: إنها قديمة ليس لها مبتدأ وشكلها ونقطها مُحدث، فقال الآخر ليست بكلام [الله][3]، وهي مخلوقة بشكلها ونقطها، والقديم هو الله، وكلامه منه بدأ وإليه يعود، منزل غير مخلوق، ولكنه كتب بها، وسألا أيهما أصوب قولا وأصح اعتقادا.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أصل هذه المسألة هو معرفة كلام الله تعالى، ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم [بإحسان] [4] وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود[5]، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك

---

(١) في (ر): عنوان "منهج السلف وأئمة الأمصار في كلام الله ك مسألة الأحرف التي أنزلها الله على آدم عليه السلام".

(٢) ليست في (ق).

(٣) بياض في (ظ).

(٤) بياض في (ظ).

(٥) قوله: " منه بدأ وإليه يعود":- قال السفاريني في اللوامع: (منه بدأ وإليه يعود) قال: ومعنى قولهم منه بدأ: أي هو المتكلم به، لم يخلقه في غيره، كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات، وأنه سبحانه لم يقم به كلام. قال: ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته، فإن الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف، بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف صفة الخالق تفارقه وتنتقل إلى غيره، ولهذا قال سيدنا الإمام أحمد: كلام الله ليس ببائن من خلقه في بعض الأجسام. **قال ابن تيمية:** ومعنى قول السلف " وإليه يعود "، ما جاء في الآثار " إن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف، ولا في القلوب منه آية، وما جاءت به الآثار عن النبي المختار – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين، كالحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند، وكتبه إلى المتوكل في رسالته التي أرسل بها إليه، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: " ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه " يعني القرآن، وفي لفظ " بأحب إليه مما خرج منه "، وقول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لما سمع كلام مسيلمة – إن هذا كلام لم يخرج من ال – أي من رب، وقول ابن عباس –رضي الله عنهما– لما سمع قائلا يقول لميت لما وضع في لحده: اللهم رب القرآن، اغفر

من كلامه ليس ذلك مخلوقا منفصلا عنه، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته، ليس مخلوقا بائنا عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، لم يقل أحد من سلف الأمة أن كلام الله مخلوق (بائن)[1] عنه، ولا قال أحد منهم أن القرآن أو التوراة أو الإنجيل لازمة لذاته أزلا وأبدا، وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا قالوا أن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية، بل قالوا لم يزل الله متكلما إذا شاء فكلامه قديم بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء، وكلمات الله لا نهاية لها كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[2] والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرية، فالقرآن العربي كلام الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ إلى قوله ﴿لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾[3] فقد بين سبحانه أن القرآن

له، فالتفت إليه ابن عباس – رضي الله عنهما – فقال: مه، القرآن كلام الله ليس بمربوب، منه بدأ وإليه يعود. وهذا الكلام معروف عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، وقال صالح آل الشيخ: قول طائفة من السلف في القرآن الكريم الذي هو كلام الله–منه بدأ وإليه يعود–يعني منه بدأ قولاً وكلاماً وتنزيلاً، فلما تَكَلَّمَ به سمعه منه جبريل عليه السلام فبلَّغَهُ جبريل نبينا محمدا، كما سمعه، وقولهم –وإليه يعود–يعني في آخر الزمان حين لا يُعْمَلُ بالقرآن فَيُكَرِّمُ الله، كلامه أن يبقى في الأرض ولا ثَمَّ من يعمل به فيُسْرَى على القرآن في ليلةٍ، من الأوراق من الصحف ومن الصدور فلا يبقى منه في الأرض آية.

انظر: الصفدية (٢ / ٦٧)، لوامع الأنوار البهية (١ / ١٣٣)، وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (١٧٥/١).

(١) في (ظ): " باين ".

والبائن في اللغة: من بانوا بينا بينونة فارقوا، والشيء بينا وبيونا وبينونة انقطع وأبانه غيره والمرأة عن الرجل فهي بائن: انفصلت عنه بطلاق وتطليقة بائنة لا غير، و(بان) منه وعنه بينا وبيونا وبينونة بعد وانفصل ويقال بانت المرأة عن زوجها ومنه انفصلت.

انظر: القاموس المحيط (١ / ١٥٢٦)، المعجم الوسيط (٧٩/١).

(٢) سورة الكهف: ١٠٩.

(٣) سورة النحل: ٩٨-١٠٣.

الذي يبدل منه آية مكان آية نزله روح القدس وهو جبريل وهو الروح الأمين كما ذكر ذلك في موضع آخر من الله بالحق، وبين بعد ذلك أن من الكفار من قال ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[1] كما قال بعض المشركين يعلمه رجل بمكة أعجمي[2]، فقال تعالى ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾[3] أي الذي يضيفون إليه هذا التعليم أعجمي ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[4] ففي هذا ما يدل على أن الآيات التي هي لسان عربي مبين نزلها روح القدس من الله بالحق كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[5].

[ ][6] والكتاب الذي (أنزله)[7] مفصلا هو القرآن العربي باتفاق الناس، وقد أخبر أن الذين (أتاهم)[8] الكتاب يعلمون أنه منزل من الله بالحق، والعلم لا يكون إلا حقا فقال:

---

(١) سورة النحل: ١٠٣.

(٢) العجم: خلاف العرب الواحد عجمي نطق بالعربية أو لم ينطق وعلم على الفرس خاصة، والأَعْجَمُ أيضا الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية ورجلان أعْجَمَانِ وقوم أعْجَمُونَ و أعَاجِمُ قال الله تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ ثم ينسب إليه فيقال لسان أَعْجَمِيٌّ وكتاب أعجمي، قال ابن جرير الطبري: عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلِّم قينا بمكة، وكان أعجميّ اللسان، وكان اسمه بَلْعام، فكان المشركون يَرَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلِّمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره...الآية.

انظر: مختار الصحاح (١ / ٤٦٧) المعجم الوسيط (٢ / ٥٨٦)، تفسير الطبري (١٤ / ٣٦٥).

(٣) سورة النحل: ١٠٣.

(٤) سورة النحل: ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام: ١١٤.

(٦) في (ر): عنوان "تكليم الله ومناداته وكون النداء صوتا والكلام حروفا".

(٧) في (ق) و (ر): " أنزل".

(٨) في (ر): " تاهم " والمثبت هو الصحيح.

﴿يَعۡلَمُونَ﴾[1] ولم يقل يقولون، فإن العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول، وذكر علمهم ذكر (مستشهد)[2] به، وقد فرق سبحانه بين إيحائه إلى غير موسى وبين تكليمه لموسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ إلى قوله ﴿حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3] فرق سبحانه بين تكليمه لموسى وبين إيحائه لغيره ووكد تكليمه لموسى بالمصدر، وقال تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ إلى قوله ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾[4]، وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾[5] إلى آخر السورة، فقد بين سبحانه أنه لم يكن لبشر أن يكلمه [الله][6] إلا على أحد الأوجه الثلاثة[7]، إما وحيا وإما من وراء حجاب،

(1) سورة الأنعام: ١١٤.

(2) في (ر): " مستشهدا"، وفي (ظ): " ستشهد ".

(3) سورة النساء: ١٦٣-١٦٥.

(4) سورة البقرة: ٢٥٣.

(5) سورة الشورى: ٥١.

(6) بياض في (ظ).

(7) قال ابن كثير رحمه الله: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله، عز وجل، وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل، كما جاء في صحيح ابن حبان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي: أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"، وقوله: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى، عليه السلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله: "ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا" الحديث..، وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا، وقوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء، عليهم السلام.

انظر: تفسير ابن كثير (٧ /٣١٣٧).

وإما أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما (يشاء)[١] ، فجعل الوحي غير التكليم والتكليم من وراء حجاب كان لموسى، وقد أخبر في غير موضع أنه ناداه كما قال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾[٢] الآية، وقال: ﴿فَلَمَّآ (أَتَىٰهَا)[٣] نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾[٤] الآية، والنداء باتفاق أهل اللغة لا يكون إلا صوتا مسموعا[٥]، فهذا مما اتفق عليه سلف المسلمين وجمهورهم، وأهل الكتاب يقولون إن موسى ناداه ربه نداء سمعه بأذنه، وناداه بصوت سمعه موسى، والصوت لا يكون إلا كلاما والكلام لا يكون إلا حروفا (منطوقة)[٦]، وقد قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[٧]، وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٨] وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[٩] فقد بين في غير موضع أن الكتاب والقرآن العربي منزل من الله، [ ][١٠] وهذا معنى قول السلف منه بدأ، قال أحمد (بن)[١١] حنبل – رحمه الله : منه، أي هو المتكلم به، فإن الذين قالوا إنه مخلوق قالوا خلقه في غيره فبدأ من ذلك المخلوق[١٢]، فقال السلف: منه بدأ، أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره

---

(١) في (ظ): "شاء".

(٢) سورة مريم: ٥٢.

(٣) في (ق)(ر): "أتاها".

(٤) سورة القصص: ٣٠.

(٥) انظر: فقه اللغة (١ /٢٣٩)

(٦) في (ق)(ر): "منظومة".

(٧) سورة الزمر: ١.

(٨) سورة فصلت: ١ – ٢.

(٩) سورة غافر: ١ - ٢.

(١٠) في (ر): عنوان "صفة الله ما قام بنفسه لا ما يخلقه في غيره والطوائف المتنازعة في كلامه".

(١١) في (ظ): "بن".

(١٢) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (١/٢٤٧).

فيكون كلاما لذلك المحل الذي خلقه فيه [١]، فإن الله تعالى إذا خلق صفة من الصفات في محل كانت الصفة صفة لذلك المحل ولم تكن صفة لرب العالمين، فإذا خلق طعما أو لونا في محل كان ذلك المحل هو المتحرك[٢] (المتلون)[٣] به، وكذلك إذا خلق حياة أو إرادة أو قدرة أو علما أو (كلاما)[٤] في محل كان ذلك المحل هو (المريد)[٥] القادر العالم المتكلم بذلك الكلام، ولم يكن ذلك المعنى المخلوق في ذلك المحل صفة لرب العالمين، وإنما يتصف الرب تعالى بما يقوم به من الصفات، لا بما يخلقه في غيره من المخلوقات، فهو الحي العليم القدير السميع البصير الرحيم المتكلم بالقرآن وغيره من الكلام، بحياته وعلمه وقدرته وكلامه القائم به لا بما (خلقه)[٦] في غيره من هذه المعاني، ومن جعل كلامه مخلوقا لزمه أن يقول المخلوق هو (القائل)[٧] لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٨] وهذا ممتنع لا يجوز أن يكون هذا كلاما إلا لرب العالمين، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن والتوراة وغير ذلك من الكتب بمعانيها وألفاظها المنتظمة من(حروفها)[٩] لم يكن شيء من ذلك مخلوقا

---

(١) قال الخلال: وسمعت عبدالله بن أحمد؛ قال: ذكر أبو بكر الأعين؛ قال: سُئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله "القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود" فقال أحمد: منه خرج هو المتكلم به وإليه يعود.

انظر: السنة للخلال (٦/ ٢٣-٢٦)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل (١٩٢/١).

(٢) قال المحقق لطبعة مجموعة الرسائل والمسائل بعناية محمد رشيد رضا ما نصه: قوله المتحرك غير ظاهر لأن ما قبله ليس فيه معنى الحركة فأما أن يكون قد سقط منه شيء وأما أن يقال المتصف أي بالطعم واللون. أ.هـ. والله أعلم

انظر: مجموعة الرسائل (٣٧١/١)

(٣) في (ظ): "المتكون".

(٤) في (ر): "كليهما".

(٥) في (ظ): "المزيد".

(٦) في (ق)(ر): "يخلقه".

(٧) في (ظ): "القايل".

(٨) سورة طه: ١٤.

(٩) في (ظ): "حرف فيها".

بل كان ذلك [كلاماً][1] لرب العالمين، وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل أن فلانا[2] يقول لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا (الألف)[3]، فقالت لا أسجد حتى أؤمر . فقال: هذا كفر[4] .

---

(١) ليست في (ر).

(٢) السري السقطي كما سيأتي لاحقا.

(٣) في (ر): "ألف" والمثبت هو الصحيح.

(٤) قال ابن رجب في الذيل في الاختلاف الأصحاب في الحروف: ذكر القاضي يعقوب الخلاف بين أصحابنا في أن الحروف: هل هي حرف واحد قديم، أو حرفان: قديم ومحدث؟ وقال: كلامُ أحمد يحتمل القولين. ولكنه اختار أنها حرف واحد. وحكاه عن شيخه القاضي وذكر أنه سمع ابن جَلبة الحراني يحكيه عن الشريف الزبدي، وجماعة من أهل حران، والتزم القاضي يعقوب: أن كل ما كان موافقًا لكتاب الله من الكلام في لفظه ونظمه وحروفه، فهو من كتاب الله، وإن قصد به خطاب آدمي، حتى إنه لا يبطل الصلاة، قال أبو العباس بن تيمية: وهذا مخالف للإجماع. وهو كما قال. فإنه إذا جَرّدَ قصده للخطاب، فهو يتكلم بكلام الآدميين. وأما إن قصد التنبيه بالقرآن، فمن الأصحاب من قال: لا يحنث، ومنهم من بناه على الخلاف في بطلان الصلاة بذلك (أ،هـ).

وقال القاضي أبو يعلى بن الفراء: مسألة في حروف المعجم التي يدور عليها كلام الأدميين، هل هي مخلوقة أم لا ؟، قال شيخنا أبوعبدالله: المذهب أنها مخلوقة، وقد قال أحمد: الأدمي وكلامه مخلوق، وهذا كلام الأدمي فيجب أن تكون مخلوقة. قال الشيخ أبو عبدالله: ورأيت طائفة تزعم أنها على المذهب قالوا: هي غير مخلوقة وركبوا في الأسماء المحدثات مثل ذلك، قال: وأصل هذا ما نقله أبو طالب عن أحمد وقد حُكي له قول سري السقطي لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف فقال: لا أسجد حتى أؤمر، فقال: هذا كفر. فقد أنكر القول على الحروف ووجه هذا القائل أن هذا الكلام كلام الله تعالى بقوله: (وعلم آدم الأسماء كلها)، وإذا كانت كلاما له لم تكن مخلوقة، ومثل كلامه الذي هو القرآن، وهذا غلط لأن كلام الله تعالى ما كان وحيا أو من وراء حجاب كما أخبر يعني وليس بمعنى أن الله تعالى تكلم بذلك وقوله: (وعلم آدم الأسماء كلها) ليس معنى أنه تكلم بها ويجوز أن يكون ألهمه تعليمها من غير قول.

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١ / ٦٣)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة (٢٦٠/١).

فأنكر على من قال إن الحروف مخلوقة، لأنه إذا كان جنس الحروف مخلوقا لزم أن يكون القرآن العربي والتوراة العبرية وغير ذلك مخلوقا وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة، مخالف للأدلة العقلية والسمعية، كما قد بسط في غير هذا الموضع.

[ ][1] والناس قد تنازعوا في كلام الله نزاعا كثيرا، والطوائف الكبار نحو ست فرق[2]، فأبعدها عن الإسلام قول من يقول من المتفلسفة و (الصابئة)[3] أن كلام الله إنما هو ما يفيض[4]على

---

(١) في (ر): عنوان "مذهب الفلاسفة والمتكلمين في كلام الله وفي الخلق والتكوين".

(٢) أنظر: جامع الرسائل (١ / ١٥٣)، شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية (١١ / ٥- ١٤).

(٣) في (ظ): "الصابية".

قال ابن جرير: الصابئ المستحدث سوى دينه دينا كالمرتد من أهل الإسلام عن دينه، وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب صابئا يقال منه صبأ فلان يصبأ صبأ ويقال صبأت النجوم إذا طلعت وصبأ علينا فلان إذا طلع، والصابئة ديانة قديمة وأختلف فيهم كثير، قيل هم أصحاب كنعان ونمرود الذين بعث الله لهم الخليل، وكانوا يعبدون الكواكب، ويبنون لها الهياكل، قال ابن حزم: أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب على الدنيا، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه بما ذكرنا فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم خليله صلى الله عليه و سلم بدين الإسلام الذي نحن عليه الآن وتصحيح ما أفسدوه، وقال ابن القيم: قال ابن وهب قال ابن زيد: كانوا بجزيرة الموصل يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله. وقال سعيد عن قتادة: هم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور. وقال ابن القيم: الصابئة أمة كبيرة فيهم السعيد والشقي، وهي أمة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع صابئة حنفاء وصابئة مشركون، وكانت حران دار مملكة هؤلاء قبل المسيح ولهم كتب وتآليف وعلوم، وكان في بغداد منهم طائفة كبيرة منهم إبراهيم بن هلال الصابئ صاحب الرسائل وكان على دينهم ويصوم رمضان مع المسلمين وأكثرهم فلاسفة ولهم مقالات مشهورة ذكرها أصحاب المقالات، وجملة أمرهم أنهم لا يكذبون الأنبياء ولا يوجبون اتباعهم، وعندهم أن من اتبعهم فهو سعيد ناج، وأن من أدرك بعقله ما دعوا إليه فوافقهم فيه وعمل بوصاياهم فهو سعيد وإن لم يتقيد بهم.

انظر: القاموس المحيط (١ / ٥٦)، المعجم الوسيط (١ / ٥٠٥)، الفصل في الملل(١ / ٨٨)، أحكام أهل الذمة (١ / ٢٣١)، إغاثة اللهفان (٢ / ٣٥٩)، معجم ألفاظ العقيدة (١/٢٣٩).

(٤) أصل كلمة الفيض في اللغة من فاض تقول: فاض الماء؛ كثر حتى سال كالوادي. وفي اصطلاح الفلاسفة قال الجرجاني: الفيض الأقدس هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية ثم العينية، والفيض المقدس عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما

النفوس إما من العقل الفعّال[1]، وإما من غيره، وهؤلاء يقولون إنما كلم الله موسى من سماء عقله أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج، وأصل قول هؤلاء أن الأفلاك قديمة أزلية، وأن الله لم يخلقها بمشيئته وقدرته في ستة أيام كما أخبرت به الأنبياء، بل يقولون إن الله لا يعلم الجزئيات، فلما جاءت الأنبياء بما جاؤوا به من الأمور الباهرة جعلوا يتأولون ذلك تأويلات يحرفون فيها الكلم عن مواضعه، ويريدون أن يجمعوا بينها وبين أقوال سلفهم الملاحدة، فقالوا مثل ذلك، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، وهم (كثيرو)[2] التناقض، كقولهم أن الصفة هي الموصوف، وهذه الصفة هي الأخرى فيقولون: هو عقل وعاقل ومعقول، ولذيذ وملتذ ولذة، وعاشق ومعشوق وعشق، وقد يعبرون عن ذلك بأنه حي عالم معلوم محب محبوب، ويقولون نفس العلم هو نفس المحبة، وهو نفس القدرة، ونفس العلم هو نفس العالم، ونفس المحبة هي نفس المحبوب، ويقولون إنه علة تامة في الأزل، فيجب أن يقارنها معلولها في الأزل في الزمن وإن كان متقدما عليها بالعلة لا بالزمان، ويقولون إن العلة التامة ومعلولها يقترنان في الزمان ويتلازمان، فلا يوجد معلول إلا بعلة تامة، ولا تكون علة تامة إلا مع معلولها في الزمان، ثم يعترفون بأن حوادث العالم حدثت شيئا بعد شيء من غير أن يتجدد من المبدع الأول ما يوجب أن يصير علة للحوادث المتعاقبة، بل حقيقة قولهم أن الحوادث حدثت بلا محدث، وكذلك عدمت (بعد)[3] حدوثها من غير سبب يوجب عدمها على أصلهم.

يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج فالفيض المقدس مترتب على الفيض الأقدس فبالأول تحصل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم وبالثاني تحصل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها.

انظر: الصحاح للجوهري (٤ / ١١٧)، القاموس المحيط (١ / ٨٣٩) الكليات (١/١٩١)، التعريفات (١/١٤٣)، التوقيف على مهمات التعاريف (١ / ٢٦٥).

(١) ذهب فلاسفة الإسلام إلى عد العقل الفعال في نهاية سلسة العقول الفلكية، وسموه العقل العاشر الذي يدير شئون الأرض.

انظر: المعجم الفلسفي (١/١٢٠)

(٢) في (ر): "كثيرو" وهو الأصوب.

(٣) في (ر): "معد"

وهؤلاء قابلهم طوائف من أهل الكلام ظنوا أن المؤثر التام يتراخى عنه أثره، وأن القادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح، والحوادث لها ابتداء وقد حدثت بعد أن لم تكن بدون سبب حادث، ولم يهتد الفريقان للقول الوسط، وهو أن المؤثر التام مستلزم أن يكون أثره عقب تأثيره التام لا مع التأثير ولا متراخيا عنه[1]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] فهو سبحانه يكوّن كل شيء فيكون عقب تكوينه لا مع تكوينه في الزمان ولا متراخيا عن تكوينه، كما يكون الانكسار عقب الكسر والانقطاع عقب القطع ووقوع الطلاق عقب التطليق لا متراخيا عنه ولا مقارنا له في الزمان.

---

(١) **قال ابن تيمية:** فالأثر إما أن يجب مقارنته للمؤثر التام المستجمع لجميع شروط التأثير وإما أن يجوز تراخيه عنه فإن جاز تراخيه عنه أمكن كون المؤثر التام ثابتا في الأزل والعالم حادث عنه بعد ذلك وهذا يبطل أصل حجتهم ثم هذا يستلزم الترجيح بلا مرجح والحدوث بلا سبب، فإنه إذا كان المؤثر حال أن يفعل وقبل أن يفعل على السواء من غير اختصاص إحدى الحالتين بوجه من الوجوه كانت الحالات سواء؛ وحينئذ فكونه يفعل في أحدهما ولا يفعل في الآخر ترجيح للفعل بلا مرجح وهذا ممتنع في بديهة العقل وهو يسد باب إثبات الواجب القديم الخالق، وإن وجب مقارنة الأثر للمؤثر التام لزم من ذلك أن يكون كل ما حدث في الوجود لم يحصل مؤثره التام إلا مقارنا له وحينئذ يكون المؤثر التام صار مؤثرا بعد أن لم يكن ويكون الأثر مفتقرا إلى مؤثر تام مقارن له والتسلسل ممتنع في أصل كون المؤثر مؤثرا وتمام كونه مؤثرا كما تقدم فإنه إذا كان لا يوجد تمام المؤثر في هذا حتى يوجد تمام المؤثر في هذا المؤثر ولا يوجد تمام المؤثر في هذا حتى يوجد تمام المؤثر في هذا لزم أن لا يوجد شيء من تمام المؤثرات كما إذا قيل لا يوجد هذا المؤثر حتى يوجد هذا المؤثر فإن هذا غايته تقدير أمور معدومة متعاقبة وتعاقب المعدومات وكثرتها وتقدير عدم.

وقال في موطن آخر في نفس الكتاب: وفصل الخطاب أن لفظ "التأثير" و "الفعل" و "الإبداع"، ونحو ذلك يُراد به في حق الله تأثيره في كل ما سواه، وهو إبداعه لكل ما سواه، ويراد به التأثير في شيء معين، وهو خلقه لذلك المعين، ويراد به مطلق التأثير، وهو كونه مؤثرا في شيء ما. أ.هـ

أنظر: الصفدية (١/٤٠)، (١/٢٨٢).

(٢) سورة يس: ٨٢.

[ ][1] والقائلون بالتراخي ظنوا امتناع حوادث لا تتناهى، فلزمهم أن الرب لا يمكنه فعل ذلك، فالتزموا أن الرب يمتنع أن يكون لم يزل متكلما بمشيئته، ويمتنع أن يكون لم يزل قادرا على الفعل والكلام بمشيئته، فافترقوا بعد ذلك، منهم من قال كلامه لا يكون إلا حادثا، لأن الكلام لا يكون إلا مقدورا مرادا، وما كان كذلك لا يكون إلا حادثا، وما كان حادثا كان مخلوقا منفصلا عنه لامتناع قيام الحوادث به وتسلسلها في ظنهم.

ومنهم[2] من قال: بل كلامه لا يكون إلا قائما به، وما كان قائما به لم يكن متعلقا بمشيئته وإرادته، بل لا يكون إلا قديم العين، لأنه لو كان مقدورا مرادا لكان حادثا فكانت الحوادث تقوم به، ولو قامت به لم يسبقها ولم يخل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها.

ومنهم[3] من قال: بل هو متكلم بمشيئته وقدرته، لكنه يمتنع أن يكون متكلما في الأزل أو أنه لم يزل متكلما بمشيئته وقدرته، لأن ذلك يستلزم وجود حوادث لا أول لها، وذلك ممتنع.

قالت هذه الطوائف: ونحن بهذا الطريق علمنا حدوث العالم فاستدللنا على حدوث الأجسام[4] بأنها لا تخلو من الحوادث ولا تسبقها، وما لم يسبق الحوادث فهو حادث، ثم من هؤلاء من ظن أن هذه قضية ضرورية ولم يتفطن لإجمالها.

ومنهم من تفطن للفرق بين ما لم يسبق الحوادث المحصورة المحدودة، وما يسبق جنس الحوادث المتعاقبة شيئا بعد شيء، أما الأول فهو حادث بالضرورة لأن تلك الحوادث لها مبدأ معين فما لم يسبقها يكون معها أو بعدها وكلاهما حادث.

[ ][5] وأما جنس الحوادث شيئا بعد شيء فهذا شيء تنازع فيه الناس، فقيل أن ذلك ممتنع في الماضي والمستقبل كقول الجهم وأبي الهذيل، فقال الجهم: بفناء الجنة والنار، وقال أبو

---

(١) في (ر): عنوان "نظريات الفرق في القدم بالذات والزمان والحدوث والتسلسل".

(٢) أي الأشاعرة.

(٣) أي الكرامية.

(٤) تقدم أن دليل حدوث الأجسام أحد إطلاقات.

(٥) في (ر): عنوان "معنى الحدوث وأخبار الرسل بأن الله خلق كل شيء".

الهذيل: بفناء حركات (أهلهما)[١]، وقيل بل هو جائز في المستقبل دون الماضي لأن الماضي دخل في الوجود دون المستقبل، وهو قول كثير من طوائف النظار، وقيل بل هو جائز في الماضي والمستقبل، وهذا قول أئمة أهل الملل [و][٢] أئمة السنة
(كعبدالله)[٣]بن المبارك[٤] وأحمد بن حنبل وغيرهما، ممن يقول بأن الله لم يزل متكلما إذا شاء، وإن كلمات الله لا نهاية لها وهي قائمة بذاته وهو متكلم بمشيئته وقدرته، وهو أيضا قول أئمة الفلاسفة[٥]، لكن أرسطو[٦] وأتباعه مدعون ذلك في حركات الفلك ويقولون إنه قديم أزلي،

(١) في (ظ): " أهلها ".

(٢) سقطت في (ظ).

(٣) في (ظ): " لعبدالله ".

(٤) أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، المولود سنة (١١٨هـ)أفنى عمره في الإسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا، وجمع الحديث والفقه والعربية، كان من سكان خراسان، ومات بهيت على الفرات منصرفه من غزو الروم سنة (١٨١ هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨)، الأعلام (١١٥/٤).

(٥) قال ابن تيمية في اختلاف الحكم على الفلاسفة: وحقيقة الأمر أن المتفلسفة نوعان نوع معرضون عما جاءت به الرسل بعد بلوغ ذلك لهم وقيام الحجة عليهم بما جاءت به الرسل فهؤلاء كفار أشقياء بلا ريب ومن كان منهم مؤمنا بما جاءت به الرسل ظاهرا وباطنا فهذا مؤمن حكمه حكم أهل الإيمان لكن لا يمكن مع هذا أن نعتقد ما يناقض الإيمان من أقوالهم بل نوافقهم في الأقوال التي توافق أقوال الرسل أو في أقوال لا تتعلق بالدين لا نفيا ولا إثباتا من الأمور الطبيعية والحسابية ، وأما من وافقهم على أقوالهم المخالفة لما جاءت به الرسل مع تعظيمه للرسل ولنواميسهم وإيجابه لاتباعهم كالفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام فهؤلاء آمنوا ببعض ما جاء به الرسل وكفروا ببعض
أنظر: الصفدية (٢/ ٢٤٧)

(٦) أَرِسْطو فيلسوف يونانيّ يُعتبر، هو وأستاذه أفلاطون، أهم فيلسوفين بين جميع فلاسفة اليونان القدماء، ولد أرسطو سنة (٣٨٤ ق.م) في بلدة ستاجيرا شماليّ اليونان، وقد أطلق على أرسطو وتلاميذه اسم المشائين لأن أرسطو كان يُلقي دروسه أثناء المشي والتجوال بصحبة تلاميذه، رُمى بعدم احترام الآلهة، فهرب أرسطو إلى مدينة كلسيس فمات هناك بعد عام واحد سنة (٣٢٢ق.م).
انظر: الموسوعة العربية العالمية(٤٧٨/١)، الموسوعة العربية الميسرة (٢٢٨/١)، معجم الفلاسفة (٥٢/١).

وخالفوا في ذلك جمهور الفلاسفة مع مخالفة الأنبياء والمرسلين وجماهير العقلاء، فإنهم متفقون على أن الله خلق السموات والأرض بل هو خالق كل شيء وكل ما سوى الله مخلوق حادث كائن بعد أن لم يكن، وأن القديم الأزلي هو الله تعالى بما هو متصف به من صفات الكمال وليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه، بل من قال عبدت الله ودعوت الله فإنما عبد ذاته المتصفة بصفات الكمال التي تستحقها ويمتنع وجود ذاته بدون صفاتها اللازمة لها.

ثم لما تكلم في النبوات من اتّبع أرسطو كابن سينا وأمثاله ورأوا ما جاءت به الأنبياء من أخبارهم بأن الله يتكلم وأنه كلم موسى تكليما وأنه خالق كل شيء، أخذوا يحرفون كلام الأنبياء عن مواضعه، فيقولون: الحدوث نوعان، ذاتي وزماني[1]، ونحن نقول أن الفلك محدث الحدوث الزماني بمعنى أنه معلول وإن كان أزليا لم يزل مع الله، وقالوا: إنه مخلوق بهذا الاعتبار، والكتب الإلهية أخبرت بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، والقديم الأزلي لا يكون في أيام.

[ ][2] وقد علم بالاضطرار أن ما أخبرت به الرسل من أن الله خلق كل شيء وأنه خلق كذا، إنما أرادوا بذلك أنه خلق المخلوق وأحدثه بعد أن لم يكن كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[3]، والعقول الصريحة توافق ذلك وتعلم أن المفعول المخلوق المصنوع لا يكون مقارنا للفاعل في الزمان ولا يكون إلا بعده، وإن الفعل لا يكون إلا بإحداث المفعول، وقالوا لهؤلاء قولكم إنه مؤثر تام في الأزل لفظ (مجمل)[4] يراد به التأثير العام في كل شيء، ويراد به التأثير المطلق في شيء بعد شيء، ويراد به التأثير في شيء معين دون غيره، فإن أردتم الأول لزم أن لا يحدث في العالم حادث، وهذا خلاف المشاهدة، وإن أردتم الثاني لزم أن يكون (كل ما)[5] سوى الله مخلوقا حادثا كائنا بعد أن لم يكن، وإن كان الرب لم يزل متكلما بمشيئته فعالا لما يشاء، وهذا يناقض قولكم ويستلزم أن كل ما سواه مخلوق ويوافق ما أخبرت به الرسل،

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي (١/٧٠).

(٢) في (ر): عنوان "تعارض نظريات الفلاسفة وتناقضهم".

(٣) سورة مريم: ٩.

(٤) في (ظ): " محمل ".

(٥) في (ظ): " كلما ".

وعلى هذا يدل العقل الصريح، فتبين أن العقل الصريح يوافق ما أخبرت به الأنبياء، وإن أردتم الثالث فسد قولكم لأنه يستلزم أنه يشاء بعد أن لم يكن [...][١] لها من غير تجدد سبب يوجب الأحداث، وهذا يناقض قولكم، فإن صح هذا جاز أن يحدث كل شيء بعد أن لم يكن محدثا لشيء، وإن لم يصح هذا بطل، فقولكم باطل على التقديرين، وحقيقة قولكم أن المؤثر التام لا يكون إلا مع أثره ولا يكون الأثر إلا مع المؤثر التام في الزمن وحينئذ فيلزمكم أن لا يحدث شيء، ويلزمكم أن (كل ما)[٢] حدثَ حدثٌ بدون مؤثر، ويلزمكم بطلان الفرق بين أثر وأثر، وليس لكم أن تقولوا بعض الآثار يقارن المؤثر التام وبعضها يتراخى عنه.

وأيضا فكونه فاعلا لمفعول معين مقارن له أزلا وأبدا باطل في صريح العقل، وأيضا فأنتم وسائر العقلاء موافقون على أن الممكن الذي لا يكون ممكنا يقبل الوجود والعدم وهو الذي جعلتموه الممكن الخاص الذي قسيمه الضروري الواجب والضروري الممتنع[٣] لا يكون إلا موجودا تارة ومعدوما أخرى، وأن القديم الأزلي لا يكون إلا ضروريا واجبا يمتنع عدمه، وهذا مما اتفق عليه أرسطو وأتباعه حتى ابن سينا، وذكره في كتبه المشهورة كالشفاء وغيره، ثم تناقض فزعم أن الفلك ممكن مع كونه قديما أزليا لم يزل ولا يزال، وزعم أن الواجب بغيره القديم الأزلي الذي يمتنع عدمه يكون ممكنا يقبل الوجود والعدم، وزعم أنه له ماهية غير وجوده، وقد بسط الكلام على فساد قول هؤلاء وتناقضه في غير هذا الموضع.

[ ][٤] **والقول الثاني** للناس في كلام الله تعالى قول من يقول: إن الله لم يقم به صفة من الصفات، لا حياة ولا علم ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ولا رحمة ولا غضب ولا غير ذلك، بل خلق كلاما في غيره فذلك المخلوق هو كلامه، وهذا قول الجهمية والمعتزلة، وهذا القول أيضا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف، وهو مناقض لأقوال الأنبياء ونصوصهم، وليس مع هؤلاء عن الأنبياء قول يوافق قولهم، بل لهم شبه عقلية فاسدة قد بينا فسادها في غير هذا

---

(١) في (ظ) غير واضحة.

(٢) في (ظ): "كلما ".

(٣) الممتنع: ما لا يمكن ألا يكون أو ما لا يمكن أن يكون بخلاف ما هو عليه.

انظر: المعجم الفلسفي (١/١٠٩).

(٤) في (ر): عنوان "نقض نظريات الجهمية والمعتزلة والكلابية في صفة الكلام".

الموضع، وهؤلاء زعموا أنهم يقيمون الدليل على حدوث العالم بتلك الحجج، وهم لا الإسلام نصروا، ولا لأعدائه كسروا.

والقول الثالث قول من يقول: إنه يتكلم بغير مشيئته وقدرته بكلام قائم بذاته أزلا وأبدا، وهؤلاء موافقون لمن قبلهم في أصل قولهم، لكن قالوا الرب (يقوم)[١] به الصفات ولا يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الصفات الاختيارية.

وأول من اشتهر عنه أنه قال هذا القول في الإسلام عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق موافقوه، فمنهم من قال ذلك الكلام معنى واحد هو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل محظور، والخبر عن كل مخبر عنه، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وقالوا معنى القرآن والتوراة والإنجيل واحد، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، وقالوا الأمر والنهي والخبر صفات الكلام لا أنواع له، ومن محققيهم من جعل المعنى يعود إلى الخبر والخبر يعود إلى العلم.

[ ][٢] وجمهور العقلاء يقولون قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة، وهؤلاء يقولون تكليمه لموسى ليس إلا خلق إدراك يفهم به موسى ذلك المعنى، فقيل لهم: أفهم كل الكلام أم بعضه إن كان فهمه كله فقد عَلم عِلم الله، وإن كان فهم بعضه فقد تبعض، وعندهم كلام الله لا يتبعض ولا يتعدد، وقيل لهم: قد فرق الله بين تكليمه لموسى وإيحائه لغيره، وعلى أصلكم لا فرق، وقيل لهم قد كفر الله من جعل القرآن العربي قول البشر، وقد جعله تارة قول رسول من البشر، وتارة قول رسول من الملائكة، فقال في موضع ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣] فهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في الآية الأخرى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[٤] فهذا جبريل، فأضافه تارة إلى الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري،

(١) في (ق): " تقوم ".

(٢) في (ر): عنوان "بطلان قول الكلابية وغيرهم أن الله لا يتكلم بمشيئته".

(٣) سورة الحاقة: ٤٠ – ٤٢.

(٤) سورة التكوير: ١٩ — ٢١.

والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، وكان بعض هؤلاء ادعى أن القرآن العربي أحدثه جبريل أو محمد فقيل لهم: لو أحدثه أحدهما لم يجز إضافته إلى الآخر، وهو سبحانه أضافه إلى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي، فدل [..][1] ذلك على أنه قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه، بل قد كفر من قال إنه قول البشر.

والطائفة الأخرى التي وافقت ابن كلاب على أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته قالت بل الكلام القديم هو حروف أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلا وأبدا لا يتكلم بها بمشيئته وقدرته ولا يتكلم بها شيئا بعد شيء، ولم يفرق هؤلاء بين جنس الحروف وجنس الكلام، وبين عين (حروف)[2] قديمة أزلية، وهذا أيضا مما يقول جمهور العقلاء أنه معلوم الفساد بالضرورة، فإن الحروف المتعاقبة شيئا بعد شيء يمتنع أن يكون كل منها قديما أزليا [وإن كان جنسها قديما، لإمكان وجود كلمات لا نهاية لها وحروف متعاقبة لا نهاية لها، وامتناع كون كل منها قديما أزليا][3] فإن المسبوق بغيره لا يكون أزليا، وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها فقال الترتيب في ماهيتها لا في وجودها، وبطلان هذا القول معلوم بالاضطرار لمن تدبره، فإن ماهية الكلام الذي هو حروف لا يكون شيئا بعد شيء، والصوت لا يكون إلا شيئا بعد شيء، فامتنع أن يكون وجود الماهية المعينة أزليا متقدما عليها به، مع أن الفرق بينهما بِيّن لو قدر الفرق بينهما، ويلزم من هذين الوجهين أن يكون وجودها أيضا مترتبا ترتيبا متعاقبا.

[ ][4] ثم من هؤلاء من يزعم أن ذلك القديم هو ما يُسمع من العباد من الأصوات بالقرآن والتوراة والإنجيل أو بعض ذلك، وكان أظهر فسادا مما قبله، فإنه يعلم بالضرورة حدوث أصوات العباد.

---

(١) في (ر): زيادة "على".

(٢) في (ظ): "الحروف ".

(٣) ما بين المعقوفتين مثبت من الهامش في (ط).

(٤) في (ر): عنوان "مذهب السلف في كلام الله القائم بذاته وتكليمه بالعربية وغيرها".

وطائفة خامسة قالت: بل الله يتكلم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي وغيره لكن لم يكن يمكنه أن يتكلم بمشيئته في الأزل لامتناع حوادث لا أول (لها)[١]، وهؤلاء جعلوا الرب في الأزل غير قادر على الكلام بمشيئته ولا على الفعل كما فعله أولئك، ثم جعلوا الفعل والكلام ممكنا مقدورا من غير تجدد شيء، أوجب القدرة والإمكان كما قال أولئك في المفعولات المنفصلة.

وأما السلف فقالوا[٢]: لم يزل الله متكلما إذا شاء، وإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم[٣]، كما أن من يعلم ويقدر أكمل ممن لا يعلم ولا يقدر، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازما لذاته ليس له عليه قدرة ولا له فيه مشيئة، والكمال إنما يكون بالصفات القائمة بالموصوف لا بالأمور المباينة له، ولا يكون الموصوف متكلما عالما قادرا إلا بما يقوم به من الكلام والعلم والقدرة، وإذا كان كذلك فمن لم يزل موصوفا بصفات

---

(١) في (ر): " أولها ".

(٢) قال السفاريني النابلسي في حاشيته على الدرة المضيئة: فالمنصوص في أصول أهل السنة أن الله لم يزل متكلما متى شاء، وكلم، ويكلم، وكلامه لا ينفد، كما أخبر به في كتابه. وقال في موطن آخر: السلف يقولون: لم يزل الله متكلما إذا شاء، فاعلا إذا شاء، ولم تزل الإرادة والكلمات تقوم بذاته، وإلا كان ناقصا عاجزا، تعالى الله عن ذلك.

انظر: حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١ /١٣، ١٧).

(٣) قال الإمام أحمد: والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أنراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان، وقال في موطن آخر: فلما ظهرت عليه الحجة –الجهمي– قال: إن الله يتكلم ولكن كلامه مخلوق قلنا وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاما وقد جمعتم بين كفر وتشبيه وتعالى الله عن هذه الصفة بل جمعتم نقول إن الله لم يزل متكلما إذا شاء ولا نقول إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام ولا نقول إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم ولا نقول إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة ولا نقول إنه قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نورا ولا نقول إنه قد كان لا عظمة له حتى خلق لنفسه عظمة

انظر: الرد على الزنادقة والجهمية (١ / ١٣٧ و١٣٩)

الكمال أكمل ممن حدثت له بعد أن لم يكن متصفا بها لو كان حدوثها ممكنا، فكيف إذا كان ممتنعا، فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال، منعوتا بنعوت الجلال، ومن أجلها الكلام، فلم يزل متكلما إذا شاء ولا يزال كذلك، وهو يتكلم إذا شاء بالعربية كما تكلم بالقرآن العربي، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه، فلا تكون الحروف التي هي مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المنزلة مخلوقة لأن الله تكلم بها[1].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٧/٦).

فصل[١]

(ثم)[٢] تنازع بعض المتأخرين في الحروف الموجودة في كلام الآدميين، وسبب نزاعهم (سببان)[٣] أحدهما أنهم لم يفرقوا بين الكلام الذي يتكلم الله به فيُسمع منه، وبين ما إذا بلغه عنه مبلغ فسمع من ذلك المبلغ، فإن القرآن كلام الله تكلم به بلفظه ومعناه بصوت نفسه، فإذا قرأه [القُراء][٤] قرأوه بأصوات أنفسهم، فإذا قال القارئ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٥] كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله، فالكلام كلام البارئ، والصوت صوت القارئ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "زينوا القرآن بأصواتكم "[٦]، وكان يقول: " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"[٧]، وكلا الحديثين ثابت، فبين أن الكلام الذي

(١) في (ر): عنوان "سبب نزاع المتأخرين في الحروف التي في الكلام".

(٢) في (ر): "مم".

(٣) في (ق)(ر): "أمران".

(٤) "القراء" ليست في (ر).

(٥) سورة الفاتحة: ٢ – ٣.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ٩٧- كتاب التوحيد / ٤٤- باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به..) الآية / رقم الصفحة (٦٢٨/١) /رقم الحديث (٧٥٢٧).

وذكره البخاري معلقا في صحيحه: ٩٧- كتاب التوحيد / ٥٢- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) و (زينوا القرآن بأصواتكم) / رقم الصفحة (٦٣٠/١).

(٧) انظر: سنن أبي داود: ٣٩-كتاب السنة /٢٠- باب في القرآن / رقم الصفحة (١٥٧١/١) / رقم الحديث (٤٧٣٤).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢٢- كتاب السنة / ٢٢- باب في القرآن / رقم الصفحة (١٥٨/٣) / رقم الحديث (٤٧٣٤).

و انظر: سنن الترمذي: ٤٣- كتاب القراءات / ٢٤- باب ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي / رقم الصفحة (١٩٤٥/١) / رقم الحديث (٢٩٢٥).

يبلغه كلام ربه، وبين أن القارئ (يقرأه)[1] بصوت نفسه، وقال صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن"[2]، قال أحمد والشافعي وغيرهما: هو تحسينه بالصوت، قال أحمد بن حنبل: يحسنه بصوته، فبين أحمد أن القارئ يحسن القرآن بصوت نفسه.

والسبب الثاني: أن السلف قالوا القرآن كلام الله منزل غير مخلوق[3]، وقالوا لم يزل متكلما إذا شاء، فبينوا أن كلام الله قديم، أي جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم أن نفس الكلام المعين قديم، ولا قال أحد منهم القرآن قديم، بل قالوا إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه، وكان منزلا منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزليا قديما بقدم الله وإن كان الله لم يزل متكلما إذا شاء، فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض .

قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح.

انظر: صحيح الترمذي: ٤٣ -كتاب القراءات /٢٤- باب.. / رقم الصفحة (١٦٨/٣) / رقم الحديث (٢٩٢٥).

(١) في (ق): "يقرؤه".

(٢) انظر: صحيح البخاري: ٩٧ - كتاب التوحيد / ٤٤- باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به..)الآية / رقم الصفحة (٦٨٢/١) /رقم الحديث (٧٥٢٧).

(٣) أنظر: العقيدة الواسطية (١ / ٧)، الفتاوى الكبرى (٢ / ٣١٢).

[ ][1] فمن قال إن حروف المعجم كلها مخلوقة وأن [كلام][2] الله تعالى[3] [مخلوقا فقد قال قولا] مخالفا للمعقول الصريح، والمنقول الصحيح، ومن قال (إن)[4] نفس أصوات العباد أو مدادهم أو (شيئا)[5] من ذلك قديم فقد خالف أيضا أقوال السلف، وكان (فساد)[6] قوله ظاهرا لكل أحد، وكان مبتدعا قولا لم يقله أحد من أئمة المسلمين، ولا قالته طائفة كبيرة من طوائف المسلمين، بل الأئمة الأربعة وجمهور أصحابهم بريئون من ذلك، ومن قال إن الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين، فقد ابتدع قولا باطلا في الشرع والعقل، ومن قال إن جنس الحروف التي كلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة وأن الكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقا والحروف المنتظمة منه جزء منه ولازمة له وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقة فقد أصاب. وإذا قال: إن الله هدى عباده وعلمهم البيان فأنطقهم بها و(باللغات)[7] المختلفة، وأنعم عليهم بأن جعلهم ينطقون بالحروف التي هي مباني كتبه وكلامه وأسمائه فهذا قد أصاب، فالإنسان وجميع ما يقوم به من الأصوات والحركات وغيرها مخلوق كائن بعد أن لم يكن، والرب تعالى بما يقوم به من صفاته وكلماته وأفعاله غير مخلوق، والعباد إذا (قرأوا)[8] كلامه فإن كلامه الذي

---

(١) في (ر): عنوان "الأقوال في قدم الحروف وخلقها وكلام الله وصفاته".

(٢) بياض في (ظ).

(٣) ليست في (ظ)، وفي (ر) تنبيه: كتب المحقق في حاشية (ر) ما نصه: "كذا بالأصل ويظهر أنه قد سقط من هنا شيء فإن قوله (وإن الله تعالى) ليس له خبر يتم به الكلام، وهو تمهيد للجواب عن الأقوال التي تقدم سؤال شيخ الإسلام عنها في صفحة (٣٥) وفيه أن الذين قالوا أنها مخلوقة بشكلها ونقطها...الخ، وقوله "مخالفا للمعقول" سقط من قبله العامل فيه ولعله فقد قال قولا مخالفا...الخ ".

انظر: مجموع الرسائل والمسائل (٣٨١/١).

(٤) ليست في (ق).

(٥) في (ظ): "شيئ ".

(٦) في (ظ): "نفس".

(٧) في (ظ): "اللغات".

(٨) في (ق)(ر): "قرؤوا".

(يقرأوه)[1] هو كلامه لا كلام غيره، وكلامه الذي تكلم به لا يكون مخلوقا وكان ما (يقرأون)[2] به كلامه من حركاتهم وأصواتهم مخلوقا، وكذلك ما يكتب في المصاحف من كلامه فهو كلامه مكتوبا في المصاحف وكلامه غير مخلوق، والمداد الذي يكتب به كلامه وغير كلامه مخلوق، وقد فرق سبحانه وتعالى بين كلامه وبين مداد كلماته بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[3] وكلمات الله غير مخلوقة، والمداد الذي يكتب به كلمات الله مخلوق، والقرآن المكتوب في المصاحف غير مخلوق، وكذلك المكتوب في اللوح المحفوظ وغيره قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[4] وقال ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى[5] صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾[6] وقال تعالى: ([ ][7]يَتْلُوا۟ صُحُفًا[8] مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[9] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[10].

---

(١) في (ق): "يقرؤونه"، وفي (ظ): "يقرؤنه".

(٢) في (ق): "يقرؤون"، وفي (ظ): "يقرؤن".

(٣) سورة الكهف: ١٠٩.

(٤) سورة البروج: ٢١ – ٢٢.

(٥) ليست في (ر).

(٦) سورة عبس: ١١ – ١٤.

(٧) في (ق): زيادة "رسولا من الله".

(٨) في (ق): "صحفنا"، وفي (ر): "صحفا".

(٩) سورة البينة: ٢ – ٣.

(١٠) سورة الواقعة: ٧٧ – ٧٩.

فصل[1]

فهذان المتنازعان اللذان تنازعا في الأحرف التي أنزلها الله على آدم، فقال أحدهما: إنها قديمة وليس لها مبتدأ وشكلها ونقطها محدث، وقال الآخر: إنها ليست بكلام الله وإنها مخلوقة بشكلها ونقطها وإن القديم هو الله وكلامه منه بدأ وإليه يعود منزل غير مخلوق، ولكنه كتب بها، وسؤالهما أن نبين لهما الصواب وأيهما أصح اعتقادا.

يقال لهما: يحتاج بيان الصواب إلى بيان ما في السؤال من الكلام المجمل، فإن كثيرا من نِزاع العُقلاء (لكونهما)[2] لا (يتصوران)[3] مورد النزاع تصورا بينا، وكثير من النزاع قد يكون الصواب فيه في قول آخر غير القولين اللذين قالاهما، وكثير من النزاع قد يكون مبنيًّا على أصل ضعيف إذا بُين فساده [ارتفع][4] النزاع .

[ ][5] فأول ما في هذا السؤال قولهما: الأحرف التي أنزلها الله على آدم، فإنه قد ذكر بعضهم أن الله أنزل عليه حروف المعجم مفرقة مكتوبة، وهذا ذكره ابن قتيبة[6] في المعارف، وهو ومثله يوجد في التواريخ كتاريخ ابن جرير الطبري ونحوه، وهذا ونحوه منقول عمن ينقل الأحاديث

(١) في (ر): عنوان "إنزال الحروف على آدم من الإسرائيليات".

(٢) في (ق): لكونهم، وفي (ر) ذكر المحقق: أي لكون المتنازعين منهم.

(٣) في (ق): "يتصورون".

(٤) بياض في (ظ).

(٥) في (ر): عنوان "لا يجوز الاعتماد على الإسرائيليات إلا ما ثبت بنص مرفوع متواتر".

(٦) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الادب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد (٢١٣ هـ)، وتوفي بها سنة (٢٧٦ هـ)، وسكن الكوفة ، ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها، رمي بالميل للكرامية والتشبيه. قال الذهبي: ما رأيت لابي محمد في كتاب مشكل الحديث ما يخالف طريقة المثبتة والحنابلة، ومن أن أخبار الصفات تمر ولا تتأول، فالله أعلم.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٩)، لأعلام (٤/ ١٣٧).

الإسرائيلية[1] ونحوها من أحاديث الأنبياء المتقدمين، مثل وهب بن منبه[2] وكعب الأحبار[3]، ومالك (بن)[4] دينار[5]،

(١) الإسرائيليات هي القصص و النقولات التي ذكرت عن بني إسرائيل، قال ابن تيمية: والإسرائيليات تذكر للاستشهاد، لا للاعتماد، ما علمت صحته مما شهد له الشرع، فصحيح، وما خالفه فيعتقد كذبه، وما لم يعلم حكمه في شرعنا، لا يصدق، ولا يكذب، وغالبه لا فائدة فيه، وقال ابن كثير عن أحاديث بني إسرائيل عند تفسيره سورة الأنبياء: فما وافق منها الحق، مما بأيدينا عن المعصوم، قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما لا ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة.

انظر: حاشية مقدمة التفسير (١ /١٣٨)، تفسير ابن كثير (٥ / ٢٣٢٠).

(٢) أبو عبد الله وهب بن منبه وهب بن منبه بن كامل الابناوي الصنعاني، أخو همام بن منبه، مولده زمن عثمان سنة (٣٤ هـ)، اخباري قصصي مؤرخ، كثير الأخبار عن الكتب القديمة، ولا سيما الاسرائيليات، يعد في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد، ومات بصنعاء سنة (١١٤ هـ)، و ولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها.

انظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٤٤)، الأعلام (٨ / ١٢٥).

(٣) أبو إسحاق كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، كان من أوعية العلم فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الامم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة (٣٢ هـ) ، عن مئة وأربع سنين، في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

انظر: سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٩١)، الأعلام (٥ / ٢٢٨)

(٤) في (ظ): "ابن".

(٥) أبو يحيى مالك بن دينار البصري، المتوفى سنة (١٣١ هـ) من العلماء الابرار، معدود في ثقات التابعين من رواة الحديث، كان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالأجرة، كان من ذلك بلغته.

انظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ٣٦٢)، الأعلام (٥ / ٢٦٠).

ومحمد بن إسحاق[1] وغيرهم، وقد أجمع المسلمون على أن ما ينقله هؤلاء عن الأنبياء المتقدمين لا يجوز أن يجعل عمدة في دين المسلمين إلا إذا ثبت ذلك بنقل متواتر، أو أن يكون منقولا عن خاتم المرسلين، وأيضا فهذا النقل قد عارضه نقل آخر وهو (أن)[2] أول من خط وخاط إدريس، فهذا منقول عن بعض السلف وهو مثل ذلك وأقوى، فقد ذكروا فيه إن إدريس أول من خاط الثياب وخط بالقلم، وعلى هذا فبنو آدم من قبل إدريس لم يكونوا يكتبون بالقلم ولا يقرؤون كتبا، والذي في حديث أبي ذر[3] المعروف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم " إن آدم كان نبيا مكلما كلمه الله قبلا"[4] وليس فيه أنه أنزل عليه شيئا مكتوبا،

---

(١) أبو بكر وقيل أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، جده يسار من سبي عين التمر بالولاء، من أهل المدينة، ولد ابن إسحاق سنة ثمانين، من أقدم مؤرخي العرب، له "السيرة النبوية" هذبها ابن هشام، و ومن حفاظ الحديث وهو أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرا عجاجا، ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي، زار الإسكندرية، وسكن بغداد فمات فيها ، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد سنة (١٥١ هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ٣٣)، الأعلام (٦ / ٢٨).

(٢) في (ق): "إن".

(٣) أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، من كنانة بن خزيمة، وفي اسمه واسم أبيه أقوال، قديم الإسلام، وأول من حيّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الإسلام ، انتقل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام، كان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، استقدمه عثمان من الشام إلى المدينة، فقدمها ثم استقر بالربذة فسكنها إلى أن مات بها سنة (٣٢ هـ)، وصلى عليه ابن مسعود مرجعة من الكوفة رضي الله عنهما.

انظر: الاستيعاب (١/٨٠٠)، سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٦)، الأعلام (٢ / ١٤٠).

(٤) ذكره الطبراني بلفظ: عن أبي ذر. قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت آدم، أنبيٌّ كان، قال: "نعم" كان نبياً رسولا، كلمه الله قبلا، قال: (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) قال أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني: لم يروه عن إبراهيم التيمي إلا ليث ولا رواه عن ليث إلا ميكال وهو شيخ كوفي لا نعلمه أسند حديثا غير هذا.

انظر: الدر المنثور (١ / ١٢٦)، فتح القدير (١ / ١٠٨)، المعجم الأوسط (٤ / ٣٠٠).

{فليس فيه أن الله أنزل على آدم صحيفة ولا كتابا ولا هذا معروف عند أهل الكتاب، فهذا يدل على أن هذا لا أصل له ولو كان هذا معروفا عند أهل الكتاب، لكان هذا النقل ليس هو في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة عن النبي}[1]، وإنما هو من جنس الأحاديث الإسرائيلية التي لا يجب الإيمان بها، بل ولا يجوز التصديق بصحتها إلّا بحجة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه "[2]، والله سبحانه علم آدم الأسماء كلها وأنطقه بالكلام المنظوم، وأما تعليم حروف مقطعة لا سيما إذا كانت مكتوبة (فهو)[3] تعليم لا ينفع، ولكن لما أرادوا تعليم المبتدئ بالخط صاروا يعلمونه الحروف المفردة حروف الهجاء، ثم يعلمونه تركيب بعضها إلى بعض فيعلم أبجد هوز، وليس هذا وحده كلاما.

[ ][4] فهذا المنقول عن آدم من نزول حروف الهجاء عليه لم يثبت به نقل، ولم يدل عليه عقل، بل الأظهر في كليهما نفيه، وهو من جنس ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من

وخرج الألباني قريب من هذا اللفظ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (أن رجلا قال يا رسول الله أنبيا كان آدم. قال نعم، مكلم).

انظر: السلسة الصحيحة رقم الصفحة (٣٥٨/٦) / رقم الحديث (٢٦٦٨).

(١) السياق بما بين الخاصرتين كذا جاء في جميع النسخ.

(٢) انظر: سنن أبي داود: ٢٤ - أول كتاب العلم / ٢- باب رواية حديث أهل الكتاب / رقم الصفحة (١٤٩٣/١) / رقم الحديث (٣٦٤٤).

قال الشيخ الألباني: ضعيف.

انظر: ضعيف سنن أبي داود: ١٩ -كتاب العلم / ٢- باب رواية حديث أهل الكتاب / رقم الصفحة (٢٩٣/١) / رقم الحديث (٣٦٤٤).

وصححه في السلسلة الصحيحة المختصرة: بلفظ "ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم".

انظر: (٦ / ٧١٢) / رقم الحديث (٢٨٠٠).

(٣) في (ظ): "هو".

(٤) في (ر): عنوان "ما روي في نزول الحروف على آدم وتفسير أبجد هوز الخ كذب باطل".

تفسير ا ب ت ث، وتفسير أبجد هوز حطي، ويروونه عن المسيح أنه قال لمعلمه في الكُتّاب، وهذا كله من الأحاديث الواهية بل المكذوبة، ولا يجوز باتفاق أهل العلم بالنقل أن يحتج بشيء من هذه وإن كان قد ذكرها طائفة من المصنفين في هذا [الباب][1] كالشريف المزيدي، والشيخ أبي الفرج، وابنه عبد الوهاب وغيرهم، وقد يذكر ذلك طائفة من المفسرين والمؤرخين، فهذا كله عند أهل العلم بهذا الباب باطل لا يعتمد عليه في شيء من الدين، وهذا وإن كان قد ذكره أبو بكر النقاش وغيره من المفسرين عن النقاش ونحوه، نقله الشريف المزيدي الحراني وغيره فأجل من ذكر ذلك من المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وقد بين في تفسيره أن كل ما نقل في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو باطل، فذكر في آخر تفسيره اختلاف الناس في تفسير أبجد هوز حطي، وذكر حديثا رواه من طريق محمد بن زياد الجزري[2] عن فرات ابن أبي الفرات[3]عن معاوية بن قرة[4] عن أبيه[5] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) محمد بن زياد الجزري اليشكري ويقال الحنفي يروي عن ميمون بن مهران وغيره الموضوعات روى عنه العراقيون، كان ممن يضع الحديث على الثقات ويأتي عن الأثبات بالأشياء المعضلات.

انظر: المجروحين (٢ / ٢٥٩)، المغني في الضعفاء (٢ / ٣٠١)، تقريب التهذيب (٤٧٨/١).

(٣) فرات أو الفرات بن السائب الجزري كنيته أبو سليمان، وقد قيل أبو المعلى، كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات و يأتي بالمعضلات عن الثقات..

انظر: الضعفاء الصغير (١ / ٩٨)، المجروحين (٢ /٢٠٨)، ميزان الاعتدال (٣ / ٣٤١)، المغني في الضعفاء (٢ / ١٨٥)، لسان الميزان (٣٢٢/٦).

(٤) معاوية بن قرة ابن إياس بن هلال بن رئاب، الامام العالم الثبت أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس. وثقه ابن معين، والعجلي، وأبو حاتم، وابن سعد، والنسائي ٬ قال ابن حجر: معاوية ابن قرة ابن إياس ابن هلال المزني أبو إياس البصري ثقة عالم من الثالثة مات سنة ثلاث عشرة وهو ابن ست وسبعين سنة.

أنظر: سير أعلام النبلاء (٥ / ١٥٣)، تقريب التهذيب (١ / ٥٣٨).

(٥) قرة ابن إياس ابن هلال المزني أبو معاوية صحابي نزل البصرة وهو جد إياس القاضي مات سنة أربع وستين.

أنظر: تقريب التهذيب (١ / ٤٥٥).

أبا جاد وتفسيرها، ويل لعالم جهل تفسير أبي جاد" قال: قالوا (يا)[1]رسول الله وما [أبا جاد][2] وما تفسيرها قال: "أما الألف فآلاء الله وحرف من أسمائه، وأما الباء فبهاء الله، وأما (الجيم)[3] فجلال الله، وأما الدال فدين الله، وأما الهاء فالهاوية، وأما الواو فويل لمن (نسها)[4]، وأما (الزاي)[5] فالزاوية، وأما الحاء فحطوط الخطايا عن المستغفرين بالأسحار"[6] وذكر تمام الحديث من هذا الجنس.

[ ][7] وذكر حديثا ثانيا من حديث عبد الرحيم بن واقد[8] حدثني الفرات بن السائب عن ميمون بن مهران[9] عن ابن عباس قال: " ليس شيء إلا وله سبب وليس كل أحد يفطن له ولا بلغه ذلك، إن لأبي جاد حديثا عجيبا، أما أبو جاد (فأبى)[10]آدم الطاعة وجد في أكل

---

(١) في (ظ): "يد".

(٢) في (ظ): "أبجد".

(٣) في (ظ): "الميم".

(٤) في (ق)(ر): "سها".

(٥) في (ظ): "الزا ".

(٦) لم أجده.

(٧) في (ر): عنوان "جرح رواة أحاديث أبي جاد".

(٨) عبد الرحيم بن واقد شيخ يروى عن عدى بن الفضل روى عنه الحارث بن أبى أسامة، قال الذهبي: عبد الرحيم بن واقد شيخ للحارث بن أبي أسامة ضعفه الخطيب.
أنظر: الثقات (٨ / ٤١٣)، المغني في الضعفاء (١ / ٦٢٢).

(٩) أبو أيوب ميمون بن مهران الرقى ولد سنة (٣٧هـ)، إمام حجة فقيه من القضاة،كثير العبادة ،كان مولى لامرأة بالكوفة، وأعتقته، فنشأ فيها، ثم استوطن الرقة، فكان عالمها، وسيدها، واستعمله عمر بن عبد العزيز على خراجها وقضائها، وكان على مقدمة الجند الشامي، مع معاوية بن هشام بن عبد الملك، لما عبر البحر غازيا إلى قبرص، سنة ١٠٨ هـ، توفي سنة (١١٧ هـ).
أنظر: سير أعلام النبلاء (٥/٧١)، الأعلام (٧ / ٣٤٢)

(١٠) في (ظ): "فأبا".

الشجرة، وأما هوز فزل آدم فهوى من السماء إلى الأرض، وأما حطي فحطت عنه خطيئته، وأما كلمن فأكله من الشجرة ومن عليه بالتوبة "[1] وساق تمام الحديث من هذا الجنس .

(١) لم أجده في تفسير الطبري.

لكن قال السيوطي: (الخطيب) أنبأنا التنوخي أنبأنا علي بن عمر السكري حدثنا أبو سعيد مفتاح بن خلف الخراساني حدثنا أحمد بن صالح الكرابيسي البلخي حدثنا الحسن بن يزيد الجصام حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثنا الفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال إن لكل شيء سببا وليس كل أحد يفطن له ولا سمع به وإن لأبي جاد لحديثا عجيبا أما أبو جاد فأبى آدم الطاعة وجد في أكل الشجرة وأما هوز فهوى من السماء إلى الأرض وأما حطى فحطت عنه خطاياه وأما كلمن فأكل من الشجرة ومن عليها بالتوبة وأما سعفص فعصى آدم ربه فأخرج من النعيم إلى النكد وأما قرشت فأقر بالذنب وسلم من العقوبة موضوع على ابن عباس وفيه مجاهيل والفرات ليس بشيء. (قلت) أخرجه ابن جرير في تفسيره حدثنا المثنى بن معاذ حدثنا إسحاق بن الحجاج حدثنا عبد الرحيم بن واقد وقال عبد الرحيم مجهول غير معروف بالنقل غير جائز الاحتجاج بما يرويه، وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات: له سند مظلم في تاريخ الخطيب عن فرات بن السائب متروك عن ميمون بن مهران عنه.

انظر: تلخيص الموضوعات (١/ ٣٦٢)، اللآلي المصنوعة (١ / ٩٢).

وذكر حديثا ثالثا من حديث إسماعيل بن عياش[1] عن إسماعيل بن يحيى[2] عن ابن أبي مُليكة[3] عمن حدثه عن ابن مسعود، ومسعر بن كدام[4] عن أبي سعيد[5] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب بسم الله، فقال له عيسى: وما بسم الله فقال له المعلم: وما أدري، فقال له عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم ملكه، والله إله الآلهة، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة، أبو جاد ألف آلاء الله، وباء بهاء الله ، وجيم جمال الله، ودال الله الدائم، وهوز هاء

(١) أبو عتبة إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي، ولد سنة (١٠٦)، عالم الشام ومحدثها في عصره، من أهل حمص، رحل إلى العراق، و ولاه المنصور خزانة الكسوة، وكان محتشما نبيلا جوادا توفي سنة (١٨٢هـ).
أنظر: الأعلام (١ / ٣٢٠)

(٢) أبو يحيى التيمي إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق روى عن أبي سنان الشيباني وابن جريج ومسعر بالأباطيل وقال صالح بن محمد جزرة كان يضع الحديث وقال الأزدي ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه.
انظر: المغني في الضعفاء (١/١٣٤)، لسان الميزان (١ / ١٨١).

(٣) ابن أبي مليكة عبد الله بن عبيدالله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن سير التيمي المكي: ولد في خلافة علي أو قبلها كان قاضيا، ومن رجال الحديث الثقات، ، وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان، معدود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير، والأذان أيضا توفي سنة (١١٧ هـ).
انظر: أعلام النبلاء (٥ / ٨٨)، الأعلام (٤ / ١٠٢).

(٤) أبو سلمة مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث بن هلال بن صعصعة الهلالي العامري الرواسي الكوفي أحد الاعلام من ثقات كان يقال له المصحف لعظم الثقة بما يرويه، خرج له الستة، وأهل الحديث عنده نحو ألف حديث توفي بمكة سنة (١٥٢ هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٧ / ١٦٣)، الأعلام (٧ / ٢١٦).

(٥) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري الانصاري الخزرجي ولد سنة (١٠ ق هـ) صحابي، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها، غزا اثنتي عشرة غزوة، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة، وله ١١٧٠ حديثا، توفي في المدينة سنة (٧٤ هـ).
انظر: الاستيعاب (١/٢٨٦)، الإصابة (٣ / ٧٨)، الأعلام (٣ / ٨٧).

الهاوية "[1] وذكر حديثا من هذا الجنس وذكره عن الربيع بن أنس موقوفا عليه. وروى أبو الفرج المقدسي عن الشريف المزيدي حديثا عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير ا ب ت ث من هذا الجنس.

ثم قال ابن جرير: ولو كانت الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك صحاح الأسانيد لم يعدل عن القول بها إلى غيرها، ولكنها واهية الأسانيد غير جائز الاحتجاج بمثلها، وذلك أن محمد بن زياد (الجزري)[2] الذي حدث حديث معاوية بن قرة عن فرات عنه غير موثوق بنقله، وأن عبد الرحيم بن واقد الذي خالفه في رواية ذلك عن الفرات مجهول غير معروف عند أهل النقل، وإن إسماعيل بن يحيى الذي حدث عن ابن أبي مليكة غير موثوق بروايته ولا جائز عند أهل النقل الاحتجاج بأخباره.

قلت: إسماعيل بن يحيى هذا يقال له التيمي كوفي معروف بالكذب، ورواية إسماعيل بن عياش في غير الشاميين لا يحتج بها، بل هو ضعيف فيما ينقله عن أهل الحجاز وأهل العراق، بخلاف ما ينقله عن شيوخه الشاميين فإنه حافظ لحديث أهل بلده كثير الغلط في حديث أولئك، وهذا متفق عليه بين أهل العلم بالرجال، وعبد الرحمن بن واقد لا يحتج به باتفاق أهل العلم، وفرات بن السائب ضعيف أيضا لا يحتج به فهو فرات بن أبي الفرات، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف أيضا.

---

(١) الرواية التي في تفسير الطبري كما يلي: حدثنا به إسماعيل بن الفضل، قال: حدثنا إبراهيم بن العلاء بن الضحاك وهو يلقب بزبريق قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مُليكة، عمن حدثه، عن ابن مسعود – ومِسْعَرِ بن كِدَام، عن عطية، عن أبي سعيد – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عيسى ابن مريم أسلمته أمُّه إلى الكتَّاب ليعلِّمه، فقال له المعلم: اكتب "بسم" فقال له عيسى: وما "بسم"؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاءُ الله، والسين، سناؤه، والميم: مملكته.

انظر: تفسير الطبري (١ / ١٢٣)

(٢) في (ر): " الحزري ".

[ ][1] وقد تنازع الناس في "أبجد هوز حطي.."، فقال طائفة: "هي أسماء قوم"، قيل: "أسماء ملوك مدين أو أسماء قوم كانوا ملوكا جبابرة"[2].

وقيل: هي أسماء الستة الأيام التي خلق الله فيها الدنيا، والأول اختيار الطبري، وزعم هؤلاء أن أصلها أبو جاد مثل أبي عاد وهواز مثل رواد وجواب، وأنها لم تعرب لعدم العقد والتركيب.

والصواب أن هذه ليست أسماء لمسميات وإنما ألفت ليعرف تأليف الأسماء من حروف المعجم بعد معرفة حروف المعجم، ولفظها: أبجد، هوز، حطي، ليس لفظها أبو جاد هواز، ثم كثير من أهل الحساب صاروا [يجعلونها][3] علامات على مراتب العدد، فيجعلون الألف واحدا، والباء اثنين، والجيم ثلاثة، إلى الياء، ثم يقولون الكاف عشرون، وآخرون من أهل الهندسة والمنطق يجعلونها علامات على الخطوط المكتوبة، أو على ألفاظ الأقيسة المؤلفة كما يقولون كل ألف ب وكل ب ج فكل ألف ج، ومثلوا بهذه لكونها ألفاظا تدل على صورة الشكل، والقياس لا يختص بمادة دون مادة، كما جعل أهل التصريف لفظ فعل تقابل الحروف الأصلية، والزائدة ينطقون بها ويقولون وزن استخرج استفعل، وأهل العروض يزنون بألفاظ مؤلفة من ذلك لكن يراعون الوزن من غير اعتبار بالأصل والزائد ولهذا سئل بعض هؤلاء عن وزن نكتل فقال نفعل، وضحك منه أهل التصريف ووزنه عندهم نفتل فإن أصله نكتال، وأصل نكتال نكتيل تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، ثم لما جزم الفعل سقطت، كما نقول مثل ذلك في نعتد ونقتد من اعتاد يعتاد واقتاد البعير يقتاده، {ونحو ذلك في "نقتيل" فلما حذفوا الألف التي

---

(١) في (ر): عنوان "التنازع في معنى أبجد هوز والصواب فيه".

(٢) قال ابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة قال، حدثني أبو عبد الله البجلي قال:"أبو جاد" و "هوّز" و "حُطّي" و "كلمون " و"سعفص" و"قرشت"، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب "كلمون"، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلَمُونٌ هَدَّ رُكْنِي... هُلْكُهُ وَسْطَ المحَلَّهْ

سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْ... حَتْفُ نَارًا وَسْطَ ظُلَّهْ

جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ... دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّةْ.

انظر: تفسير الطبري (١٢ / ٥٦٨)، تفسير البغوي (٣ / ٢٥٩)، المحرر الوجيز (٧٢٥/١).

(٣) في (ظ) على الهامش.

[تسمى][1] لام الكلمة صار وزنها، وجعلت ثمانية تكون متحركة وهي الهمزة}[2]، وتكون ساكنة وهي حرفان على الاصطلاح الأول وحرف واحد على الثاني، والألف تقرن بالواو والياء لأنهن حروف العلة، ولهذا ذكرت في آخر حروف المعجم ونطقوا بأول لفظ كل حرف منها إلا الألف فلم يمكنهم أن ينطقوا بها ابتداء (فحطوا)[3] اللام قبلها فقالوا لا، والتي في الأول هي الهمزة المتحركة فإن الهمزة في أولها، وبعض الناس ينطق بها لام ألف، والصواب أن ينطق بها لا، وبسط هذا له موضع آخر[4].

والمقصود هنا أن العلم لا بد فيه من نقل مصدق ونظر محقق، وأما النقول الضعيفة لا سيما المكذوبة فلا يعتمد عليها، وكذلك النظريات الفاسدة والعقليات الجهلية الباطلة لا يحتج بها.

---

(١) في (ظ) على الهامش.

(٢) كذا السياق في جميع النسخ، قال محقق نسخة (ر) ما نصه: قوله: ونحو ذلك في نقتيل – إلى هنا – محرف فكلمة نقتيل ليست من الناقص فتكون لام الكلمة في وزنها ألفا منقلبة، وقوله " صار وزنها " قد سقط خبره، ولو ذكر لعرفنا أصل الكلمة، وقوله "جعلت ثمانية" غير مفهوم فيفهم به ما قبله وما بعده...الخ.

(٣) في (ق) و (ر): " فجعلوا ".

(٤) ذكر صاحب المعجم الوسيط ما نصه: (أبجد) أولى الكلمات الست (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) التي جمعت فيها حروف الهجاء بترتيبها عند الساميين قبل أن يرتبها نصر بن عاصم الليثي الترتيب المعروف الآن أما (ثخذ وضظغ) فحروفها من أبجدية اللغة العربية وتسمى الروادف، وتستعمل الأبجدية في حساب الجمل على الوضع التالي أ ١ ب ٢ ج ٣ د ٤ هـ ٥ و٦ ز ٧ ح ٨ ط ٩ ي ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٥٠ س ٦٠ ع ٧٠ ف ٨٠ ص ٩٠ ق ١٠٠ ر ٢٠٠ ش ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠ ذ ٧٠٠ ض ٨٠٠ ظ ٩٠٠ غ ١٠٠٠، و المغاربة يخالفون في ترتيب الكلمات التي بعد كلمن فيجعلونها صعفض قرست ثخذ ظغش.

انظر: المعجم الوسيط (١ / ١).

[ ][1] الثاني: أن يقال هذه الحروف الموجودة في القرآن العربي قد تكلم الله بها بأسماء حروف مثل قوله " الم " وقوله " المص " قوله " الم طس، حم، كهيعص، (حم عسق)[2]، ن، ق " فهذا كله كلام الله غير مخلوق.

الثالث: أن هذه الحروف إذا وجدت في كلام العباد، وكذلك الأسماء الموجودة في القرآن إذا وجدت في كلام العباد مثل آدم ونوح ومحمد وإبراهيم وغير ذلك، فيقال هذه الأسماء وهذه الحروف قد تكلم الله بها لكن لم يتكلم بها مفردة، فإن الاسم وحده ليس بكلام، ولكن (تكلم)[3] بها في كلامه الذي أنزله في مثل قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ إلى قوله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[5]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] ونحو ذلك، ونحن إذا تكلمنا بكلام ذكرنا فيه هذه الأسماء فكلامنا مخلوق وحروف كلامنا مخلوقة، كما قال أحمد بن حنبل لرجل: ألست مخلوقا، قال: بلى، قال: أليس كلامك منك، قال: بلى، قال: أليس كلامك مخلوقا، قال: بلى، قال: فالله تعالى غير مخلوق، وكلامه منه ليس بمخلوق.

[ ][7] فقد نص أحمد وغيره على أن كلام العباد مخلوق وهم إنما يتكلمون بالأسماء والحروف التي [يوجد][8] نظيرها في كلام الله تعالى، لكن الله تعالى تكلم بها بصوت نفسه وحروف نفسه وذلك غير مخلوق، وصفات الله تعالى لا تماثل صفات العباد، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء

---

(١) في (ر): عنوان "الحروف المفردة وأسماء الأعلام في القرآن وفي كلام الناس".

(٢) في (ظ): "حمعسق".

(٣) في (ر): "يتكلم".

(٤) سورة الفتح: ٢٩.

(٥) سورة إبراهيم:٣٥- ٤٠.

(٦) سورة آل عمران: ٣٣.

(٧) في (ر): عنوان "ما أطلق على الله وعلى عباده من الصفات".

(٨) غير واضحة في (ظ).

لا في ذاته ولا صفاته [و](1) لا أفعاله، والصوت الذي ينادي به عباده يوم القيامة والصوت الذي سمعه منه موسى ليس كأصوات شيء من المخلوقات، والصوت المسموع هو حروف مؤلفة وتلك لا يماثلها شيء من صفات المخلوقين، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده، فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من الصفات، وهو سبحانه قد علم العباد من علمه ما شاء كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(2) وهم إذا علمهم الله ما علمهم من علمه فنفس علمه الذي اتصف به ليس مخلوقا ونفس العباد وصفاتهم مخلوقة، لكن قد ينظر الناظر إلى مسمى العلم مطلقا ، فلا يقال إن ذلك العلم مخلوق لاتصاف الرب به وإن كان ما يتصف به العبد مخلوقا.

[ ](3) وأصل هذا أن ما يوصف الله به ويوصف به العباد [يوصف الله به على ما يليق به](4) بما يليق بهم من ذلك، مثل الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام، فإن الله له حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام، فكلامه يشتمل على حروف وهو يتكلم بصوت نفسه، والعبد له حياة وعلم وقدرة وسمع وبصر وكلام، وكلام العبد يشتمل على حروف وهو يتكلم بصوت نفسه، فهذه الصفات لها [ثلاث اعتبارات](5) تارة تعتبر مضافة إلى الرب، وتارة تعتبر مضافة إلى العبد، وتارة تعتبر [مطلقة](6) لا تختص بالرب ولا العبد، فإذا قال العبد: حياة الله وعلم الله وقدرة الله وكلام الله ونحو ذلك، فهذا كله غير مخلوق ولا يماثل صفات المخلوقين، وإذا قال علم العبد وقدرة العبد وكلام العبد، فهذا كله مخلوق ولا يماثل صفات الرب، وإذا قال العلم والقدرة والكلام، فهذا مجمل مطلق لا يقال عليه كله إنه مخلوق و[إنه](7)غير مخلوق، بل ما اتصف به الرب من ذلك فهو غير مخلوق، وما اتصف به العبد من ذلك فهو مخلوق، فالصفة

---

(١) ليست في (ر).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (ر): عنوان "اشتراك صفات الله وصفات عباده بالأسماء للضرورة".

(٤) ليست في (ظ).

(٥) بياض في (ظ).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

تتبع الموصوف، فإن كان الموصوف هو الخالق فصفاته غير مخلوقة، وإن كان الموصوف هو العبد المخلوق فصفاته مخلوقة، ثم [إذا][(١)] قُرأ بأم القرآن وغيرها من كلام الله، فالقرآن في نفسه كلام الله غير مخلوق، وإن كان حركات العباد وأصواتهم مخلوقة، ولو قال [الجنب][(٢)] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)] ينوي به القرآن [منع][(٤)] من ذلك وكان قرآنا، ولو قاله ينوي به حمد الله لا يقصد به القراءة ل، م يكن قارئا وجاز له ذلك، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أفضل الكلام بعد [القرآن][(٥)] أربع وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر " رواه مسلم في صحيحه[(٦)]، فأخبر أنها أفضل الكلام بعد القرآن وقال هي من القرآن، فهي من القرآن باعتبار، وليست من القرآن [باعتبار][(٧)]، ولو قال القائل ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(٨)] ومقصوده القرآن كان قد تكلم بكلام الله ولم تبطل صلاته[باتفاق][(٩)]العلماء، وإن قصد مع ذلك تنبيه غيره لم تبطل صلاته عند جمهور العلماء، ولو قال لرجل اسمه [يحيى وبحضرته كتاب][(١٠)] يا يحيى خذ الكتاب لكان هذا مخلوقا [لأن][(١١)]

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) سورة الفاتحة: ٢.

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) ير واضحة في (ظ).

(٦) انظر: صحيح مسلم: ٣٨- كتاب الآداب /٢ -كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه / رقم الصفحة (١٠٥٩/١) / رقم الحديث (٥٦٠١).

(٧) ليست في (ظ)

(٨) سورة مريم: ١٢.

(٩) غير واضحة في (ظ).

(١٠) غير واضحة في (ظ).

(١١) غير واضحة في (ظ).

لفظ يحيى [هنا مراد به ذلك الشخص][(١)]، وبالكتاب ذلك الكتاب، ليس مرادا به ما أراده الله بقوله ﴿يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ﴾[(٢)]، والكلام كلام [المخلوق][(٣)] بلفظه ومعناه.

[ ][(٤)] وقد تنازع الناس في مسمى الكلام[(٥)] في الأصل، فقيل [هو][(٦)] اسم اللفظ الدال على المعنى، وقيل المعنى المدلول عليه باللفظ، وقيل لكل منهما بطريق الاشتراك اللفظي، وقيل بل هو اسم عام لهما جميعا يتناولهما عند الإطلاق، وإن [كان][(٧)] مع التقييد يراد به هذا تارة وهذا تارة، هذا قول السلف وأئمة الفقهاء وإن كان هذا القول لا يعرف في كثير من الكتب، وهذا كما تنازع الناس في مسمى الإنسان هل هو الروح فقط، أو الجسد فقط، والصحيح أنه اسم للروح والجسد جميعا، وإن كان مع القرينة قد يراد به هذا تارة وهذا تارة، فتنازعهم في مسمى النطق كتنازعهم في مسمى الناطق، فمن سمى شخصا محمدا وإبراهيم، وقال: جاء

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) سورة مريم: ١٢.

(٣) ليست في (ظ).

(٤) في (ر): عنوان "الحكم على الكلام الواحد باعتبار كونه كلام العبد أو كلام الرب".

(٥) والناس لهم في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً. وقيل: بل مسماه هو اللفظ، المعنى ليس جزء مُسَمَّاه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ، وقيل: بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كُلاَّب ومن اتبعه، وقيل: بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام اللّه حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم، بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده باللّه، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر.

أنظر: الإيمان (٢/٢١٤)، الفتاوى الكبرى (٦/٤١٨)، درء التعارض (١/٣٩٠)، الإيمان الكبير (١/٧١)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (١ / ٣٨١-٣٨٠).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

محمد وجاء إبراهيم لم يكن هذا (محمد)[1] وإبراهيم المذكورين في القرآن، ولو قال: محمد رسول الله، وإبراهيم خليل الله، يعني به خاتم الرسل وخليل الرحمن لكان قد تكلم بمحمد وإبراهيم الذي في القرآن، لكن قد تكلم بالاسم وألّفه كلاما فهو كلامه لم يتكلم به في القرآن العربي الذي تكلم الله به.

[ ][2] ومما يوضح ذلك أن الفقهاء قالوا في آداب الخلاء: أنه لا يستصحب ما فيه ذكر الله[3] واحتجوا بالحديث الذي في السنن " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه، وكان خاتمه مكتوبا عليه " محمد رسول الله " محمد سطر، رسول سطر، الله سطر"[4]، ولم يمنع أحد من العلماء أن يستصحب ما يكون فيه كلام العباد وحروف الهجاء مثل ورق الحساب الذي يكتب فيه أهل الديوان الحساب، ومثل الأوراق التي يكتب فيها الباعة ما يبيعونه ونحو ذلك، وفي السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح غطفان على نصف تمر المدينة أتاه سعد فقال (له)[5]: [هذا][6] شيء أمر الله (به)[7] فسمعا وطاعة، أم شيء تفعله لمصلحتنا، فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يفعل ذلك بوحي بل فعله باجتهاده فقال:

---

(١) في (ق): "محمدا".

(٢) في (ر): عنوان "أصل مسمى الكلام اللفظ مع المعنى أم أحدهما باعتبار الآخر".

(٣) قال المرداوي في الإنصاف: قوله ولا يدخل بشيء فيه ذكر الله تعالى، الصحيح من المذهب كراهة دخوله الخلاء بشيء فيه ذكر الله تعالى. أ.هـ.

انظر: الإنصاف للمرداوي (١ / ٩٤)

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٢٢- كتاب اللباس / ١٧- باب ما جاء في نقش الخاتم / رقم الصفحة (١٨٣٠/١) / رقم الحديث (١٧٤٨).

قال أبو عيسى حديث أنس حديث حسن صحيح غريب.

قال الألباني: صحيح.

انظر: صحيح الترمذي: ٢٢ -كتاب اللباس / ١٧- باب ما جاء في نقش الخاتم / رقم الصفحة (٢٧٦/٢) / رقم الحديث (١٧٤٧)

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) في (ق)(ر): "أهذا".

(٧) في (ر): "أب".

"لقد كنا في الجاهلية وما كانوا يأكلون منها تمرة إلا بقرى أو بشراء، فلما أعزنا الله بالإسلام يريدون أن يأكلون تمرنا [لا][1] يأكلون تمرة واحدة " وبصق سعد في الصحيفة وقطعها فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك[2]. ولم يقل هذه حروف، فلا يجوز إهانتها والبصاق فيها، وأيضا فقد كره السلف محو القرآن بالرجل ولم يكرهوا محو ما فيه كلام الآدميين.

وأما قول القائل: إن الحروف قديمة أو حروف المعجم قديمة فإن أراد جنسها فهذا صحيح، وإن أراد الحرف المعين فقد أخطأ فإن له مبدأ ومنتهى، وهو مسبوق بغيره، وما كان كذلك لم يكن إلا محدثا.

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) لم أقف على هذه الرواية، وقد ذكر ابن هشام في السيرة أصل القصة فقال: فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا.

انظر: سيرة ابن هشام ضمن الروض الأنف (٣ / ٤٢٥).

وأيضا فلفظ الحروف[1] مجمل، يراد بالحروف الحروف المنطوقة المسموعة التي هي مباني الكلام، ويراد بها الحروف المكتوبة، ويراد بها الحروف المتخيلة في النفس، والصوت لا يكون كلاما إلا بالحروف باتفاق الناس .

[ ][2] وأما الحروف فهل تكون كلاما [بدون][3] الصوت فيه نزاع، والحرف قد يراد به الصوت المقطع، وقد يراد به نهاية الصوت وحده، وقد يراد بالحروف المداد، وقد يراد بالحروف شكل المداد، فالحروف التي تكلم الله بها غير مخلوقة وإذا كتبت في المصحف قيل كلام [الله][4] المكتوب في المصحف غير مخلوق، وأما نفس أصوات العباد فمخلوقة والمداد مخلوق وشكل المداد مخلوق، فالمداد مخلوق بمادته وصورته، وكلام الله المكتوب بالمداد غير مخلوق، ومن كلام الله الحروف التي تكلم الله بها فإذا كتبت بالمداد لم تكن مخلوقة وكان المداد مخلوقا، وأشكال الحروف المكتوبة مما يختلف فيها اصطلاح الأمم.

---

(١) الحرف هو: ما دل على معنى في غيره، وقيل: ما تتوقف دلالته على معناه الإفرادي على متعلق باعتبار الوضع، وقيل: الحرف بأنه لا يحسن فيه شيء من العلامات التسع كهل وفي ولم.

انظر: التعريفات (١/٧٦)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (١/٨٨)، أوضح المسالك (١ /٢٦).

(٢) في (ر): عنوان "البحث في قدم الحروف وحدوثها والمراد منها وخطوطها".

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) ليست في (ظ).

والخط العربي[1] قد قيل أن مبدأه كان من الأنبار[2] ومنها انتقل إلى مكة وغيرها، والخط العربي تختلف صورته [العربي][3] القديم، فيه تكوف[4]، وقد اصطلح المتأخرون على تغيير (بعض)[5] صوره، وأهل المغرب لهم اصطلاح [ثالث][6] حتى في نقط الحروف وترتيبها، وكلام الله المكتوب بهذه الخطوط كالقرآن العربي هو في نفسه لا يختلف باختلاف الخطوط التي يكتب بها.

فإن قيل: فالحرف من حيث هو مخلوق أو غير مخلوق (مع)[7] قطع النظر عن كونه في كلام الخالق أو كلام المخلوق، فإن قلتم هو من حيث هو غير مخلوق، لزم أن يكون غير مخلوق في

---

(١) أول من وضع الخط العربي، قال شَرَقِيُّ بن القُطامي: إنَّ أول من وضع خطنا هذا رجال من طيئ، منهم مرامر بن مرة ، قال الشاعر: تعلمت باجاد وآل مرامر.. وسودت أثوابي ولست بكاتب، قال: وإنما قال: وآل مرامر، لأنه كان قد سمى كل واحد من أولاده بكلمة من أبجد، وهم ثمانية. قال ابن بري: الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني أنه مرامر بن مروة. قال المدائني: أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الأنبار، ويقال: من أهل الحيرة. قال: وقال سمرة بن جندب: نظرت في كتاب العربية فإذا هو قد مر بالأنبار قبل أن يمر بالحيرة. ويقال: إنه سئل المهاجرون: من أين تعلمتم الخط، فقالوا: من الحيرة، وسئل أهل الحيرة من أين تعلمتم الخط فقالوا: من الأنبار. قلت: وذكر ابن خلكان في ترجمة على بن هلال ما يقرب من ذلك.

أنظر: انتشار الخط العربي(٨/١)، القاموس المحيط (١ / ٦١١)، تاج العروس (١٤ / ١١٢-١١٣).

ولمعرفة تطور الألفبائية العربية أنظر: انتشار الخط العربي(٣٤/١)، الموسوعة العربية العالمية مادة "الأبجدية".

(٢) الأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف ثم جددها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وبنى بها قصورا وأقام بها إلى أن مات. وقال أبو القاسم الأنبار حد بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها وكان يقال لها الأهراء فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار

انظر: معجم البلدان (٢٥٧/١).

(٣) بياض في (ظ).

(٤) والتَّكوُّف: التجمع. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣ / ٢١٦).

(٥) ليست في (ر).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) في (ظ): "ما".

كلام العباد، وإن قلتم مخلوق لزم أن يكون مخلوقا في كلام الله، قيل: قول القائل [ ][1] الحرف من حيث هو هو كقوله الكلام من حيث هو هو؛ والعلم من حيث هو هو؛ والقدرة من حيث هي هي، والوجود حيث هو هو، ونحو ذلك.

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور وغيرها إذا أخذت مجردة مطلقة غير مقيدة ولا مشخصة لم يكن لها حقيقة في الخارج عن الأذهان إلا شيء معين، فليس ثم وجود إلا وجود الخالق أو وجود المخلوق، ووجود كل مخلوق مختص به وإن كان اسم الوجود عاما يتناول ذلك كله، وكذلك العلم والقدرة اسم عام يتناول أفراد ذلك وليس في الخارج إلا علم الخالق وعلم المخلوق، وعلم كل مخلوق مختص به قائم به، واسم الكلام والحروف يعم كل ما يتناوله لفظ الكلام و(الحروف)[2]، وليس في الخارج إلا كلام الخالق وكلام المخلوقين، وكلام كل مخلوق مختص به واسم الكلام يعم كل ما يتناوله هذا اللفظ، وليس في الخارج إلا الحروف [التي][3] تكلم الله بها الموجودة في كلام الخالق، والحروف الموجودة في كلام المخلوقين.

فإذا قيل إن علم الرب وقدرته وكلامه غير مخلوق، وحروف كلامه غير مخلوقة، لم يلزم (كذلك)[4] أن يكون علم العبد وقدرته وكلامه غير مخلوق وحروف كلامه غير مخلوقة.

[ ][5] وأيضا فلفظ الحرف يتناول الحرف المنطوق والحرف المكتوب، وإذا قيل إن الله تكلم بالحروف المنطوقة كما تكلم بالقرآن العربي وبقوله: الم، و حم، و طسم، و طس، و يس، و ق، و ن، ونحو ذلك فهذا كلامه، وكلامه غير مخلوق، وإذا كتب في المصاحف كان ما كتب من كلام الرب غير مخلوق وإن كان المداد وشكله مخلوقا.

وأيضا فإذا قرأ الناس كلام الله فالكلام في نفسه غير مخلوق (إذ)[6] الله قد تكلم به، وإذا قرأه المبلغ لم يخرج عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئا، أمرا يأمر به، أو خبرا

---

(١) في (ر): زيادة "بل".

(٢) في (ظ): "الحرف".

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) في (ق) و (ر): "من ذلك".

(٥) في (ر): عنوان "التفرقة بين كلام الرب وكلام العبد في أنفسهما وفي النطق".

(٦) في (ق) (ر): "إذا".

يخبره، ليس هو كلام المبلغ له عن غيره إذ ليس على الرسول إلا البلاغ المبين، وإذا قرأه المبلغ فقد يشار إليه من حيث هو كلام الله فيقال هذا كلام الله مع قطع النظر عما بلغه به العباد من صفاتهم، وقد يشار إلى نفس صفة العبد كحركته وحياته، وقد يشار إليهما، فالمشار إليه الأول غير مخلوق، والمشار إليه الثاني مخلوق، والمشار إليه الثالث فمنه مخلوق ومنه غير مخلوق، وما يوجد في كلام الآدميين من (نظير)[1] هذا هو نظير صفة العبد لا نظير صفة الرب أبدا.

وإذا قال القائل: القاف في قوله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[2] كالقاف في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[3]

قيل: ما تكلم الله به وسمع منه لا يماثل صفة المخلوقين، ولكن إذا بلغنا كلام [الله][4] فإنما بلغناه بصفاتنا وصفاتنا مخلوقة والمخلوق يماثل المخلوق.

[ ][5] وفي هذا جواب [للطائفتين][6] لمن قاس صفة المخلوق بصفة الخالق فجعلها غير مخلوقة، فإن [الجهمية][7] المعطلة أشباه اليهود، والحلولية الممثلة أشباه النصارى دخلوا في هذا وهذا أولئك مثلوا الخالق بالمخلوق فوصفوه (بالنقائص)[8] التي تختص بالمخلوق كالفقر والبخل وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق فوصفوه بخصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله، والمسلمون يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف

---

(١) في (ظ): "نخبر"

(٢) سورة طه: ١٤.

(٣) وتمام البيت:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل   بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ.

انظر: ديوان امرئ القيس (١/١١٠)

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) في (ر): عنوان "الجهمية المعطلة كاليهود والحلولية كالنصارى والمسلمون وسط".

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

(٨) في (ر): "النقائض".

ولا تمثيل بل يثبتون [له][١] ما يستحقه من صفات الكمال وينزهونه عن الأكفاء والأمثال فلا يعطلون الصفات ولا يمثلونها بصفات المخلوقات؛ فإن المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما والله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢] ومما ينبغي أن يعرف أن كلام المتكلم في نفسه واحد وإذا بلغه المبلغون تختلف أصواتهم به فإذا أنشد المنشد قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل [٣]

كان هذا الكلام كلام لبيد لفظه ومعناه مع أن أصوات المنشدين له تختلف وتلك الأصوات ليست صوت لبيد، وكذلك من روى حديث النبي صلى الله عليه وسلم بلفظه كقوله: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "[٤] كان هذا الكلام كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظه ومعناه، ويقال لمن رواه أدى الحديث بلفظه وإن كان صوت المبلغ ليس هو صوت الرسول، فالقرآن أولى أن يكون كلام الله لفظه ومعناه، وإذا قرأه القراء فإنما (يقرأونه)[٥] بأصواتهم.

ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة يقولون: من قال اللفظ بالقرآن أو لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع وفي بعض الروايات عنه: من قال لفظي بالقرآن مخلوق يعني به القرآن فهو جهمي[٦]؛ لأن اللفظ يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظا، ومسمى هذا فعل العبد وفعل العبد مخلوق ويراد باللفظ القول الذي يلفظ به اللافظ

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) سورة الشورى: ١١.

(٣) وتمام البيت

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالةَ زائلُ.

انظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري (١٣٢/١)

(٤) صحيح البخاري: ١- كتاب بدأ الوحي / ١- كيف كان بدء الوحيِ إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه علَيه وسلّم وباب وقول اللَّه جل ذكره وقول الله جل ذكره (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) / رقم الصفحة (١/١)/ رقم الحديث (١).

(٥) في (ق): " يقرؤونه ".

(٦) انظر: كتاب السنة (١٦٤/١).

وذلك كلام [الله][1] لا كلام القارئ، فمن قال إنه مخلوق فقد قال إن الله لم يتكلم بهذا القرآن، وإن هذا الذي (يقرأه)[2] المسلمون ليس هو كلام الله، ومعلوم أن هذا مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول[3] .

---

(١) ليست في (ظ).

(٢) في (ق): "يقرؤه" ، وفي (ظ): " يقرؤه ".

(٣) قال ابن تيمية مسألة اللّفظ بالقرآن " قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث والسنّة حتّى قال ابن قتيبة كلاما معناه لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذاهبهم إلّا في " مسألة اللّفظ "، وبيّن أنّ سبب ذلك لما وقع فيها من الغموض والنزاع بينهم في كثير من المواضع لفظي ولم يكن بين النّاس نزاع في أنَّ كلام العباد الذي لم ينزِّله اللّه تعالى أنّه محدث مخلوق وإن كان الكلام في " حروف الهجاء " وفي " أسماء المحدثات" فيه نزاع هو الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه من المحال كما سننبه عليه إن شاء اللّه تعالى وقال أيضا: وكذلك مسألة اللفظ فإنه لما كان السلف والأئمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقد علم المسلمون أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلي محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه محمد إلي الخلق وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه بل هو كلام لمن قاله مبتدئا لا كلام من بلغه عنه مؤديا.

وقال: ولكن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قالوا: من قال: لفظي بالقرآن وتلاوتي أو قراءتي مخلوقة فهو جهمي. ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع؛ لأن [اللفظ] و[التلاوة] و[القراءة] يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظًا، ومصدر قرأ يقرأ قراءة، وتلا يتلو تلاوة، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، ليس هو بقديم باتفاق سلف الأمة وأئمتها، حتى القدرية القائلون بأن أفعال العباد غير مخلوقة. يقولون: إن ذلك ليس بقديم. ويقولون: إنه مخلوق لله.

والسلف والأئمة كحماد بن زيد، والمعتمر بن سليمان، ويحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن حنبل وغيرهم أنكروا على من قال: إن أقوال العباد وأفعالهم غير مخلوقة، وقال يحيى بن سعيد: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، وقال بعض هؤلاء: من قال: إن هذا غير مخلوق، فهو بمنزلة من قال: إن سماء الله وأرضه غير مخلوقة، وقد يراد بالتلاوة والقرآن واللفظ نفس القرآن، الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو كلام الله. ومن قال: إن كلام الله الذي أنزله على نبيه مخلوق فهو جهمي؛ ولهذا قال أحمد وغيره من السلف: القرآن كلام الله حيث تصرف غير مخلوق، ولم يقل أحد من السلف والأئمة: إن أصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة أو قديمة

[ ][1] وأما صوت العبد فهو مخلوق، وقد صرح أحمد وغيره بأن الصوت المسموع صوت العبد ولم يقل أحمد قط: من قال إن صوتي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، وإنما قال من قال لفظي بالقرآن، والفرق بين لفظ الكلام وصوت المبلغ له فرق واضح، فكل من بلغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير لا لفظ نفسه، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير، ونفس اللفظ والتلاوة والقراءة والكتابة ونحو ذلك لما كان يراد به المصدر الذي هو حركات العباد، وما يحدث عنها من أصواتهم، وشكل المداد ويراد به نفس الكلام الذي يقرأه التالي ويتلوه ويلفظ به ويكتبه، منع أحمد وغيره من إطلاق النفي والإثبات الذي يقتضي جعل صفات الله مخلوقة، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوق .

وقال أحمد: نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرّف[2]: أي حيث تُلي وكُتب وقُرئ، مما هو في نفس الأمر كلام الله، فهو كلامه وكلامه غير مخلوق، وما كان من صفات العباد وأفعالهم التي (يقرأون)[3] ويكتبون بها كلامه، كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق، ولهذا من لم يهتد إلى هذا الفرق يحار، فإنه معلوم أن القرآن واحد ويقرأه خلق كثير، والقرآن لا يكثر في نفسه بكثرة قراءة القُراء، وإنما يكثر ما (يقرأون)[4]به القرآن، فما يكثر ويحدث في العباد فهو مخلوق، والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله، وسمعه محمد من جبريل، وبلغه محمد إلى الناس، وأنذر به الأمم لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[5] قرآن واحد، وهو كلام الله ليس بمخلوق .

أنظر: الكيلانية (٦/١)، درء التعارض (١٤٩/١)، الفتاوى الكبرى (١٦/٥)، دقائق التفسير (٢/ ١٩١)، مجموع الفتاوى (١٢ / ٢١٠)، المسألة المصرية في القرآن (١ / ٢٣).

(١) في (ر): عنوان "منع أحمد من قول لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق".

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٤٧)، المسائل والرسائل (١٩٦/١).

(٣) في (ق): "يقرؤون" و في (ر): "يقرؤن".

(٤) في (ق): " يقرؤون ".

(٥) سورة الأنعام: ١٩.

[ ](١) وليس [هذا من باب](٢) ما هو واحد بالنوع متعدد [الأعيان كالإنسانية](٣) الموجودة في زيد وعمرو، و[لا](٤) من باب ما [يقول الإنسان](٥) مثل قول غيره [كما قال تعالى](٦): ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾(٧)، فإن القرآن لا يقدر أحد أن يأتي بمثله كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾(٨) [فالإنس والجن إذا اجتمعوا لم يقدروا أن يأتوا بمثل هذا القرآن](٩) مع قدرة كل قارئ على [أن](١٠) يقرأه ويبلغه .

فعلم [أن](١١) ما قرأه هو القرآن، ليس هو مثل [ذلك](١٢) القرآن، وأما الحروف (الموجودة)(١٣) في القرآن إذا وجد نظيرها في كلام غيره، فليس هذا هو ذاك بعينه بل هو نظيره، وإذا تكلم الله باسم من الأسماء كآدم ونوح وإبراهيم وتكلم [بتلك](١٤) الحروف والأسماء التي

---

(١) في (ر): عنوان "القرآن نظمه ولفظه ومعناه وحروفه كلام الله غير مخلوق".

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) سورة البقرة: ١١٨.

(٨) سورة الإسراء: ٨٨.

(٩) غير واضحة في (ظ).

(١٠) غير واضحة في (ظ).

(١١) غير واضحة في (ظ).

(١٢) زيادة في (ر).

(١٣) في (ظ): "موجودة".

(١٤) غير واضحة في (ظ).

تكلم [الله][1] بها فإذا [قرئت][2] في كلامه فقد [بلغ كلامه فإذا أنشأ الإنسان][3] لنفسه كلاما لم يكن عين ما [تكلم][4] الله به من الحروف [والأسماء هو عين ما][5]تكلم به العبد، [حتى يقال][6] (إن)[7] هذه [الأسماء][8] والحروف الموجودة في كلام العباد غير مخلوقة، [فإن بعض من قال][9]إن الحروف والأسماء غير مخلوقة في كلام العباد[ ][10] ادعى [أن][11] المخلوق إنما هو النظم والتأليف دون المفردات، وقائل هذا [يلزمه أن يكون أيضا][12] النظم والتأليف غير مخلوق إذا وجد نظيره في القرآن كقوله ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[13] وإن أراد بذلك شخصا اسمه يحيى وكتابا بحضرته.

فإن قيل يحيى هذا والكتاب الحاضر ليس هو يحيى والكتاب المذكور في القرآن، وإن كان اللفظ نظير اللفظ قيل كذلك سائر الأسماء والحروف إنما يوجد نظيرها في كلام العباد لا في كلام الله، وقولنا يوجد نظيرها في كلام الله تقريب أي يوجد فيما نقرأه ونتلوه فإن الصوت المسموع من لفظ محمد ويحيى وإبراهيم في القرآن هو مثل الصوت المسموع من ذلك في غير القرآن وكلا

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) في (ر): (أن).

(٨) غير واضحة في (ظ).

(٩) غير واضحة في (ظ).

(١٠) في (ظ) زيادة "غير مخلوقة فإن بعض من".

(١١) غير واضحة في (ظ).

(١٢) غير واضحة في (ظ).

(١٣) سورة مريم: ١٢.

الصوتين مخلوق، [ ][1] وأما الصوت الذي (تكلم)[2] الله به فلا مثل له لا يماثل صفات المخلوقين وكلام الله هو كلامه بنظمه [ونثره][3]ومعانيه، وذلك الكلام ليس مثل كلام المخلوقين فإذا قلنا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4]، وقصد بذلك قراءة القرآن الذي تكلم الله به، فذلك القرآن تكلم الله بلفظه ومعناه لا يماثل لفظ المخلوقين ومعناهم، وأما إذا قصدنا به الذكر ابتداء من غير أن نقصد قراءة كلام الله، فإنما نقصد ذكرا ننشئه نحن، يقوم معناه بقلوبنا وننطق بلفظه بألسنتنا، وما أنشأناه من الذكر فليس هو من القرآن وإن كان نظيره في القرآن.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"[5] فجعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات أفضل الكلام بعد القرآن، فجعل درجتها دون درجة القرآن، وهذا يقتضي أنها ليست من القرآن، ثم قال: هي من القرآن، وكلا قوليه حق وصواب، ولهذا منع أحمد أن يقال: الإيمان مخلوق، وقال: لا إله إلا الله من القرآن، وهذا الكلام لا يجوز أن يقال: إنه مخلوق وإن لم يكن من القرآن ولا يقال في التوراة والإنجيل إنهما مخلوقان، ولا يقال في الأحاديث الإلهية[6] التي يرويها عن ربه إنها مخلوقة (كقوله)[7]: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي

---

(١) في (ر): عنوان "الجملة أو الجمل قد تكون قرآنا غير مخلوق وغير قرآن".

(٢) في (ق)(ر): "يتكلم".

(٣) كلمة مضروبة في (ظ).

(٤) سورة الفاتحة: ٢.

(٥) انظر: صحيح مسلم: ٣٨- كتاب الآداب /٢ -كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه / رقم الصفحة (١٠٥٩/١) / رقم الحديث (٥٦٠١).

(٦) أو الحديث القدسي: في اللغة هو الحديث المنسوب للذات القدسية وهو الله سبحانه وتعالى.
وفي الاصطلاح: هو ما نقل إلينا عن النبي صلى الله عليه وسلم مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل
انظر: تيسير مصطلح الحديث (٩٦/١)

(٧) في (ظ): " لقوله ".

وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[١]، فكلام الله قد يكون قرآنا وقد لا يكون قرآنا، والصلاة إنما تجوز وتصح بالقرآن؛ وكلام الله كله غير مخلوق .

فإذا فهم هذا في مثل هذا، فليفهم في نظائره، و(أن)[٢] ما يوجد من الحروف والأسماء في كلام الله، ويوجد في غير كلام الله يجوز أن يقال: إنه من كلام الله باعتبار [ويقال ليس من كلام الله باعتبار][٣]، كما أنه يكون من القرآن باعتبار وغير القرآن باعتبار، لكن كلام الله القرآن وغير القرآن غير مخلوق، وكلام المخلوقين كله مخلوق، فما كان من كلام الله فهو غير مخلوق، وما كان من كلام غيره فهو مخلوق .

وهؤلاء الذين يحتجون على نفي الخلق أو إثبات القدم بشيء من صفات العباد وأعمالهم لوجود نظير ذلك فيما يضاف إلى الله وكلامه والإيمان به شاركهم في هذا الأصل الفاسد من احتج على خلق ما هو من كلام الله وصفاته، بأن ذلك قد يوجد نظيره فيما يضاف إلى العبد، مثال ذلك: أن القرآن الذي (يقرأوه)[٤] المسلمون هو كلام الله (قرأوه)[٥] بحركاتهم وأصواتهم فقال الجهمي أصوات العباد ومدادهم مخلوقة وهذا هو المسمى بكلام الله أو يوجد نظيره في المسمى بكلام الله فيكون كلام الله مخلوقا .

---

(١) انظر: صحيح مسلم:٤٥-كتاب البر / ١٥- باب تحريم الظلم / رقم الصفحة (١١٢٩/١)/ رقم الحديث (٦٥٧٢).

(٢) في (ق): "إن".

(٣) ما بين المعقوفتين ليست في (ر).

(٤) في (ق)(ر): "يقرؤه".

(٥) في (ق): "قرؤوه" وفي (ر): " قرؤه ".

[ ][1] وقال (الحلولي)[2] الاتحادي الذي (يجعل)[3] صفة الخالق هي عين صفة المخلوق [هو][4] الذي نسمعه من القراء هو كلام [الله][5] وإنما نسمع أصوات العباد، فأصوات العباد بالقرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق، فأصوات العباد بالقرآن غير مخلوقة، والحروف المسموعة منهم غير مخلوقة ثم قالوا: الحروف الموجودة في كلامهم هي هذه أو مثل هذه فتكون غير مخلوقة، وزاد بعض غلاتهم فجعل أصوات كلامهم غير مخلوقة، كما زعم بعضهم أن الأعمال من الإيمان، وهو غير مخلوق والأعمال غير مخلوقة ، وزاد بعضهم أعمال الخير والشر، وقال هي القدر والشرع المشروع، وقال[ ][6] (المراد)[7] بالأعمال الحركات، بل الثواب الذي يأتي يوم القيامة، كما ورد في الحديث الصحيح: (أنه تأتي البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف)[8]، فيقال له: وهذا الثواب مخلوق، وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على أنه غير مخلوق، وبذلك أجابوا من احتج على خلق القرآن بمثل هذا الحديث، فقالوا له: الذي يجيء يوم القيامة هو ثواب القرآن لا نفس القرآن، وثواب القرآن مخلوق إلى أمثال هذه الأقوال التي ابتدعها طوائف والبدع تنشأ شيئا فشيئا، وقد بسط الكلام في هذا الباب في مواضع أخر .

وقد بينا أن الصواب في هذا الباب هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان وهو ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من أئمة الإسلام ومن وافق هؤلاء، فإن قول الإمام أحمد وقول الأئمة قبله هو القول الذي جاء به الرسول ودل عليه

(١) في (ر): عنوان "سبه من قال كلام الله مخلوق ومن قال كلام الناس غير مخلوق".

(٢) في (ظ)(ر): "الحلواني".

(٣) في (ر): "يحمل".

(٤) ليست في (ق)(ر).

(٥) ليست في (ظ).

(٦) في (ق)(ر):زيادة "عمر".

(٧) في (ق)(ر): "ما مرادنا ".

(٨) انظر: صحيح مسلم: ٦- كتاب صلاة المسافر فضائل القرآن / ٤٢- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم الصفحة (١/٨٠٤) / رقم الحديث (١٨٧٤).

الكتاب والسنة، ولكن لما امتحن الناس بمحنة الجهمية، [طلب][1] منهم تعطيل الصفات، وأن يقولوا بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يُرى في الآخرة ونحو ذلك، ثبّت الله الإمام أحمد في تلك المحنة؛ فدفع حجج المعارضين النفاة، وأظهر دلالة الكتاب والسنة، وإن السلف كانوا على الإثبات فآتاه الله من الصبر واليقين ما صار به إماما للمتقين كما قال تعالى: ﴿(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ)[2]أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[3] ولهذا قيل فيه رحمه الله: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتته البدع فنفاها، والدنيا فأباها[4]. فلما ظهر به من السنة ما ظهر كان له من الكلام في بيانها وإظهارها أكثر وأعظم مما لغيره، فصار أهل السنة من عامة الطوائف يعظمونه وينتسبون إليه.

[ ][5] وقد ذكرت [كلامه][6] وكلام غيره من الأئمة، ونصوص الكتاب والسنة في هذه الأبواب في غير هذا الموضع، وبينا أن كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به كان عارفا بالأدلة الشرعية وليس في المعقول ما (يخالف)[7] المنقول، ولهذا كان أئمة السنة على ما قاله أحمد بن حنبل قال: معرفة الحديث والفقه فيه أحب إلي من حفظه . أي معرفته بالتمييز بين صحيحه وسقيمه والفقه فيه معرفة

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) في (ظ): "وجعلناهم".

(٣) سورة السجدة: ٢٤.

(٤) قال إمام الائمة ابن خزيمة: سمعت محمد بن سحتويه، سمعت أبا عمير بن النحاس الرملي، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

انظر: طبقات الحنابلة (١ / ١٦)، سير أعلام النبلاء - (١١ / ١٩٨)

(٥) في (ر): عنوان "امامة أحمد المتفق عليها عند أهل السنة بعد الفتنة".

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) في (ظ): "خالف".

مراد الرسول وتنزيله على المسائل الأصولية و الفروعية أحب إلي من أن (يحفظ)[١] من غير معرفة وفقه، وهكذا قال علي بن المديني وغيره من العلماء فإنه من احتج بلفظ ليس [بثابت][٢] عن الرسول [أو بلفظ ثابت عن الرسول][٣] وحمله على ما لم يدل عليه فإنما أُتي من نفسه. [ ][٤] وكذلك العقليات الصريحة، إذا كانت مقدماتها وترتيبها صحيحا لم تكن إلا حقا لا تناقض شيئا مما قاله الرسول، والقرآن قد دل على الأدلة العقلية التي بها يُعرف الصانع وتوحيده وصفاته وصدق رسله وبها يُعرف إمكان المعاد، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا (يوجد)[٥] مثله في كلام أحد من الناس، بل عامة ما يأتي به حذّاق النظّار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٦] وقال:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا [٧]لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[٨]، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٩]، وأما الحجج الداحضة التي يحتج بها الملاحدة، وحجج الجهمية معطلة الصفات، وحجج الدهرية وأمثالها، كما يوجد مثل ذلك في كلام المتأخرين الذين (يصنفون)[١٠] في الكلام المبتدع، وأقوال المتفلسفة، ويدعون أنها عقليات، ففيها من الجهل والتناقض والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد وقد بسط الكلام على هؤلاء في مواضع أخر .

---

(١) في (ر): "تحفظ".

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) ليست في (ظ).

(٤) في (ر): عنوان "حجج النقل والعقل الصحيحة وحجج الملاحدة والمبتدعة الداحضة".

(٥) في (ظ): "يوجد".

(٦) سورة الفرقان: ٣٣.

(٧) في (ق): "ضربنا" الروم: ٥٨

(٨) سورة الإسراء: ٨٩.

(٩) سورة الحشر: ٢١.

(١٠) في (ر): "يصنعون".

وكان من أسباب ضلال هؤلاء [تقصير][1] الطائفتين، أو قصورهم عن معرفة ما جاء به الرسول، وما كان عليه السلف، ومعرفة المعقول الصريح، فإن هذا هو الكتاب، وهذا هو الميزان وقد قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وهذه المسألة لا تحتمل البسط على هذه الأمور، (إذ)[3] كان المقصود هنا التنبيه على أن هؤلاء المتنازعين أجمعوا على أصل فاسد، ثم تفرقوا، فأجمعوا على أن جعلوا عين صفة الرب الخالق هي عين صفة المخلوق؛ ثم قال هؤلاء: وصفة المخلوق مخلوقة فصفة الرب مخلوقة. فقال هؤلاء: صفة الرب قديمة فصفة المخلوق قديمة، ثم احتاج كل منهما إلى طرد أصله، فخرجوا إلى أقوال ظاهرة الفساد، خرج النفاة إلى أن الله لم يتكلم بالقرآن، ولا (بشيء)[4] من الكتب الإلهية لا التوراة ولا الإنجيل ولا غيرهما، وأنه لم يناد موسى بنفسه نداء يسمعه منه موسى، ولا تكلم بالقرآن العربي، ولا التوراة العبرية وخرج هؤلاء إلى أن ما يقوم بالعباد ويتصفون به يكون قديما أزليا، وأن ما يقوم بهم ويتصفون به لا يكون قائما بهم حالا فيهم بل يكون ظاهرا (عنهم)[5] من غير قيام بهم .

[ ][6] ولما تكلموا في حروف المعجم صاروا بين قولين، طائفة فرقت بين المتماثلين فقالت الحرف حرفان هذا قديم وهذا مخلوق ،كما قال ابن حامد والقاضي أبو يعلى وابن عقيل وغيرهم فأنكر ذلك عليهم الأكثرون وقالوا هذا مخالفة للحس والعقل، فإن حقيقة هذا

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) سورة الحديد: ٢٥.

(٣) في (ر): "إذا".

(٤) في (ظ)(ر): "شيء".

(٥) في (ظ)(ر): "فيهم".

(٦) في (ر): عنوان "قال بعض الحنابلة الحروف قسمان قديم ومخلوق ورده الأكثرون".

(الحرف)[1] هي حقيقة هذا الحرف، وقالوا الحرف حرف واحد، وصنف في ذلك القاضي يعقوب البرزيني[2] مصنفا خالف به شيخه القاضي أبا يعلى مع قوله في مصنفه: وينبغي أن يعلم أن ما سطرته في هذه المسألة أن ذلك مما استفدته وتفرع عندي من شيخنا وإمامنا القاضي أبي يعلى بن الفراء، وإن كان قد نصر خلاف ما ذكرته في هذا الباب، فهو العالم المقتدى به في علمه ودينه، فإني ما رأيت أحسن سمتا منه، ولا أكثر اجتهادا منه، ولا تشاغلا بالعلم مع كثرة العلم والصيانة والانقطاع عن الناس، والزهادة فيما بأيديهم، والقناعة في الدنيا باليسير، مع حسن التجمل وعظم حشمته عند الخاص والعام، ولم يعدل بهذه الأخلاق شيئا من [نفر][3] من الدنيا.

وذكر القاضي يعقوب في مصنفه: أن ما قاله قول أبي بكر أحمد بن المسيب الطبري[4] وحكاه عن جماعة من أفضل أهل طبرستان[5]، وأنه سمع الفقيه عبد الوهاب بن (جلبة)[6] قاضي حران[7] يقول: هو مذهب العلوي الحراني وجماعة من أهل حران، وذكره أبو عبد الله بن

(١) في (ظ): "الحروف".

(٢) القاضي أبو علي يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن سطورا، العكبري، الحنبلي، شيخ الحنابلة، وتلميذ القاضي أبي يعلى. وكان علما بالأصول والحديث والقرآن، تفقه به خلق كثير، وصنف في المذهب، مات في شوال سنة ست وثمانين وأربع مئة.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩ / ٩٤).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) طبرستان بفتح أوله وثانيه وكسر الراء، والنسبة إلى هذا الموضع الطبري، وهي ناحية تشمل بلدان واسعة كثيرة، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه والغالب على هذه النواحي الجبال.

انظر: معجم البلدان (٤ / ١٣)

(٦) في (ق)(ر): "حلبه" وفي (ظ): "جلبة".

(٧) أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن جلبة البغدادي ثم الحراني الجزار، قاضي حَرّان، اشتغل ببغداد، وتفقه بها على القاضي أبي يعلى، وسمع الحديث من البرقاني، قتله الرافضي ابن قريش

حامد[1] عن جماعة من أهل طبرستان ممن ينتمي إلى مذهبنا: كأبي محمد الكشفل[2]،وإسماعيل (الكاوذاري)[3] في خلق من أتباعهم يقولون إنها قديمة. قال القاضي أبو يعلى: وكذلك حُكي لي عن طائفة بالشام أنها تذهب إلى ذلك، منهم النابلسي[4] وغيره، وذكر القاضي حسين[5] أن أباه رجع في آخر عمره إلى هذا، وذكروه عن الشريف أبي علي بن أبي موسى[6]، وتبعهم في ذلك الشيخ أبو الفرج المقدسي وابنه عبد الوهاب [7] وسائر أتباعه وأبو الحسن بن الزاغوني[8]

صاحب الموصل لتسليمه حرّان إلى "جبق" أمير التركمان لكونه سُنيًا، وولديه، وجماعة من أصحابه، وصلبهم على السور سنة ست وسبعين وأربعمائة.

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١ / ٣٥)

(١) أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي ، إمام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم له المصنفات في العلوم المختلفات له الجامع في المذهب نحواً من أربعمائة جزء وله شرح الخرقي وشرح أصول الدين وأصول الفقه، وتوفي راجعاً من مكة بقرب واقصة سنة ثلاث وأربعمائة.

انظر: طبقات الحنابلة – (٢ / ١٦٩)

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) في (ق)(ر): "الكاوذرى".

(٤) فقيه حنبلي من أهل بغداد ممن وقع على كتاب كتبه الخليفة العباسي في كذب انتساب الفاطميين لآل البيت ، وكشفل بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة وضم الفاء وفي آخرها اللام

أنظر: سير أعلام النبلاء (١٥ / ١٧٨)، الأنساب للسمعاني (٥ / ٧٤).

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) الشريف أبي علي محمد بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن موسى صاحب "الإرشاد".

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١ / ٩).

(٧) لم أجد لهما ترجمة.

(٨) أبو الحسن علي وقيل (نصر) بن عبيد الله بن سهل بن الزاغواني البغدادي، الفقيه المحدث الواعظ، ، أحد أعيان المذهب ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وقرأ القران بالروايات، وطلب الحديث بنفسه، وقرأ وكتب بخطه، وكان مشهورًا بالصلاح والديانة والورَع والصيانة. وصُلي عليه يوم الاثنين بجامع القصر وجامع المنصور ودفن بمقبرة الإمام أحمد، بباب حرب. وكان له جمع عظيم يفوت الإحصاء رحمه الله تعالى.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٩ / ٦٠٥)، ذيل طبقات الحنابلة (١ / ١٥٠)

وأمثاله، [ ][1] وذكر القاضي يعقوب[2] أن كلام أحمد يحتمل القولي، وهؤلاء تعلقوا بقول أحمد لما قيل له إن سريا السقطي قال: لما خلق الله الأحرف سجدت له إلا الألف فقالت لا أسجد حتى أؤمر، فقال أحمد هذا كفر، وهؤلاء تعلقوا من قول أحمد [بقوله][3]: كل شيء من المخلوقين على لسان المخلوقين فهو مخلوق وبقوله لو كان كذلك لما تمت صلاته بالقرآن كما لا تتم بغيره من كلام الناس؛ و(بقول)[4] أحمد لأحمد بن الحسن الترمذي: ألست مخلوقا ؟ قال بلى قال أليس كل شيء منك مخلوقا قال بلى قال فكلامك منك وهو مخلوق[5].

قلت الذي قاله أحمد في هذا الباب صواب يصدق بعضه بعضا وليس في كلامه تناقض وهو أنكره على من قال: إن الله خلق الحروف؛ فإن من قال إن الحروف مخلوقة كان مضمون قوله: إن الله لم يتكلم بقرآن عربي، وأن القرآن العربي مخلوق، ونص أحمد أيضا على أن كلام الآدميين مخلوق، ولم يجعل شيئا منه غير مخلوق، وكل هذا صحيح. والسري رحمه الله إنما ذكر ذلك عن بكر بن خنيس العابد[6]، فكان مقصودهما بذلك أن الذي لا يعبد الله إلا بأمره هو أكمل ممن يعبده برأيه من غير أمر من الله، واستشهدا على ذلك بما بلغهما "أنه لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف فقالت لا أسجد حتى أؤمر وهذا الأثر لا يقوم بمثله حجة في شيء،

---

(١) في (ر): عنوان "اختلاف أفهامهم في كلام أحمد في المسألة".

(٢) لم أجد لهما ترجمة.

(٣) ليست في (ظ).

(٤) في (ر): "يقول".

(٥) انظر: السنة لخلال (٦/١٩).

(٦) بكر بن خنيس الكوفي العابد نزيل بغداد مختلف في توثيقه قال ابن حبان يروي عن البصريين والكوفيين أشياء موضوعة يسبق إلى القلب أنه المتعمد لها انتهى ، سئل يحيى بن معين عن بكر بن خنيس فقال: لا شيء.

انظر: المجروحين (١ / ٢٢٣)، المغني في الضعفاء (١ / ١٧٦)

ولكن مقصودهما ضرب المثل أن الألف منتصبة في الخط ليست هي مضطجعة كالباء والتاء فمن لم يفعل حتى يؤمر أكمل ممن فعل بغير أمر(١).

---

(١) قال ابن تيمية: وأيضا فإن هذه الحكاية من قائلها الأول مرسلة لا إسناد لها ولم يأثرها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه وأحسن أحوالها أن تكون من الإسرائيليات التي إذا لم يعرف أنها حق أو باطل لم يصدق بها ولم يكذب ومثل هذه لا يعتمد عليها في الدين بحال.. وهذا الكلام لم يقله بكر بن حبيش والسرى ونحوه من العباد إلا ليبينوا الفرق بين من لا يفعل إلا ما أمر به ومن يعتمد بما لم يؤمر به من البدع وهذا مقصود صحيح فإن العمل الصالح المقبول هو ما أمر الله به ورسوله دون شرع من الدين الذي لم يأذن به الله لكن كثير من العباد لا يحفظ الأحاديث ولا أسانيدها فكثيرا ما يغلطون في إسناد الحديث أو متنه ولهذا قال يحيى بن سعيد ما رأينا الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث يعني على سبيل الخطأ وقال أيوب السختياني إن من جيراني لمن ارجو بركة دعائهم في السحر ولو شهد عندي على جزرة بقل لما قبلت شهادته، ولهذا يميزون في اهل الخير والزهد والعبادة بين ثابت البناني والفضيل ابن عياض ونحوهما وبين مالك بن دينار وفرقد السبخي وحبيب العجمي وطبقتهم وكل هؤلاء أهل خير وفضل ودين والطبقة الأولى يدخل حديثها في الصحيح، وقال مالك بن أنس رحمه الله ادركت في هذا المسجد ثمانين رجلا لهم خير وفضل وصلاح كل يقول حدثني أبي عن جدي عن النبي صلى الله عليه وسلم لم نأخذ عن أحد منهم شيئا وكان ابن شهاب يأتينا وهو شاب فنزدحم على بابه لأنه كان يعرف هذا الشأن، وجاء في لفظ لما خلق الله الحروف فاحتج بهذا من يقول من الجهمية إن القرآن أو حروفه مخلوقة فقال أحمد هذا كفر لأن فيه القول بخلق ما هو من القرآن وذلك الأثر لا يعرف له إسناد ولا يعرف قائله ولا ناقله ولا يؤثر عن صاحب ولا تابع ولعله من الإسرائيليات فرد الاحتجاج به أسهل الأمور، وأما ما تضمنه من الفرق بين العمل الذي يؤمر به والذي لا يؤمر به فهذا الفرق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة متى كان في الأحاديث التي لا تعرف صحتها والأحاديث الضعيفة ما يوافق أصول الإسلام وما لا يوافق قبول الحق وترك الباطل فنقبل من هذه الحكاية ما وافق الاصول ا وهو الذي أخذه بكر بن حبيش والسرى وغيرهما ونرد منها ما خالف الأصول وهو الذي رده الإمام أحمد وغيره من أئمة الهدى مع أن أحمد من أعظم الناس قولا لما قصده السرى من الفرق بين المأمور وغير المأمور وهو من أعظم الناس أمرا بالعمل المشروع ونهيا عن غير المشروع، ثم إن هذه الحكاية المعروفة عن السرى لما بلغت الإمام أحمد أنكرها غاية الإنكار حتى توقف عن مدح السرى مع ما كان يذكر من فضله وورعه ونهى عن أن يذكر عنه مدحه حتى يظهر خطأه في ذلك مع أن السرى اعترف بأنه لم يقلها ذاكرا وإنما قالها آثرا، فذكر الخلال في كتاب السنة ذكر السري وما أحدث اخبرني أحمد بن محمد عن مطر وزكريا بن يحيى أن ابا طالب حدثهم أنه قال لأبي

وأحمد أنكر قول القائل إن الله لما خلق الحروف وروي عنه أنه قال: من قال إن حرفا من حروف المعجم مخلوق فهو جهمي، لأنه سلك طريقا إلى البدعة، ومن قال إن ذلك مخلوق فقد قال إن القرآن مخلوق، وأحمد قد صرح هو وغيره من الأئمة أن الله لم يزل متكلما إذا شاء، وصرح أن الله يتكلم بمشيئته، ولكن أتباع ابن كلاب كالقاضي وغيره تأولوا كلامه على أنه أراد بذلك إذا شاء الإسماع، لأنه عندهم لم يتكلم بمشيئته وقدرته.

[ ][1] وصرح أحمد وغيره من السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يقل أحد من السلف إن الله تكلم بغير مشيئته وقدرته، ولا قال أحد منهم إن نفس [الكلام][2] المعين كالقرآن، أو ندائه لموسى، أو غير ذلك من كلامه المعين أنه قديم أزلي لم يزل ولا يزال، وإن الله قامت به حروف معينة، أو حروف وأصوات معينة قديمة أزلية لم تزل ولا تزال، فإن هذا لم يقله ولا دل عليه قول أحمد ولا غيره من أئمة المسلمين، بل كلام أحمد وغيره من الأئمة صريح في نقيض هذا، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء مع قولهم إن كلام الله غير مخلوق، وإنه منه بدأ، ليس بمخلوق ابتدأ من غيره، ونصوصهم بذلك كثيرة معروفة في الكتب الثابتة عنهم، مثل ما صنف أبو بكر الخلال في كتاب السنة وغيره، وما صنفه عبد الرحمن

عبد الله جاءني كتاب من طرسوس أن سريا قال لما خلق الله الحروف سجدت إلا الألف فإنه قال لا أسجد حتى أومر فقال هذا الكفر.

انظر: الاستقامة (١ / ٢٠١- ٢٠٥)، الكيلانية (١ / ٥٦).

(١) في (ر): عنوان "نصوص أحمد في الكلام وأشهر من نقلها من أصحابه وأصحابهم".

(٢) غير واضحة في (ظ).

بن أبي حاتم من كلام أحمد وغيره وما صنفه أصحابه وأصحاب أصحابه: كابنيه صالح[1] وعبد الله[2] وحنبل[3] وأبي داود السجستاني[4] صاحب " السنن "

(١) أبو الفضل صالح بن الإمام أحمد بن حنبل، أكبر أولاده وأحبهم إليه، وكان أبوه يعتني به في العلم والتربية والتزكية، ويكره له الدخول على السلاطين أو أخذ جوائزهم، تولى صالح قد ولى القضاء بطرسوس قبل ولاية القضاء بأصبهان، ومات صالح بأصبهان في شهر رمضان سنة ست وستين ومائتين وله ثلاث وستون سنة وله أولاد منهم زهير لأحمد، وكان مولد صالح سنة ثلاث ومائتين.

انظر: طبقات الحنابلة (١ / ١٦٥).

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ، الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، فكان أصغر من أخيه صالح، روى عن أبيه شيئا كثيرا، من جملته المسند كله، قال أحمد بن حنبل: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث، مات يوم الأحد، ودفن في آخر النهار لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة، سنة تسعين، وصلى عليه ابن أخيه زهير بن صالح، ودفن في مقابر باب التبن، وكان الجمع كثيرا فوق المقدار.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٥١٦).

(٣) حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم الإمام أحمد، ذكره أبو بكر الخلال فقال: قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بغير شيء وإذا نظرت في مسائله شبهتها في حسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم وكان حنبل رجلا فقيرا ومات بواسط في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ومائتين

انظر: طبقات الحنابلة (١ / ١٤٠).

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الازدي السجستاني، الإمام صاحب السنن، ولد سنة (٢٠٢ هـ) إمام أهل الحديث في زمانه، محدث البصرة أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة، وكتب عنه شيخه احمد بن حنبل حديث العتيرة واراه كتابه فاستحسنه، توفي بالبصرة (٢٧٥ هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٠٣)، تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٩٢)، الأعلام (٣ / ١٢٢).

والأثرم[١] والمروذي[٢] وأبي زرعة[٣]، وأبي حاتم[٤] والبخاري[٥] صاحب الصحيح، وعثمان بن

(١) أبو بكر الاثرم أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أو الكلبي، الاسكافي ،، من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وآخرين، له كتاب في علل الحديث وآخر في السنن، توفي سنة (٢٦١ هـ).
انظر: الأعلام (١ / ٢٠٥).

(٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز المروذي، وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله وكان الإمام يأنس به وينبسط إليه وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله، وقد روى عنه مسائل كثيرة ،ومات المروذي في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن عند قبر أحمد بن حنبل.
انظر: طبقات الحنابلة (١ / ٥٦)، موسوعة الأعلام (١ / ٧٧).

(٣) أبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، المولود سنة (٢٠٠ هـ) من حفاظ الحديث الأئمة، من أهل الري محدث الري، زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، قيل: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، توفي بالري سنة (٢٦٤ هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٦٥)، الأعلام (٤ / ١٩٤).

(٤) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظلي، ولد سنة(١٩٥هـ) حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم، ولد في الري، وإليها نسبته، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم، وتوفي ببغداد سنة (٢٧٧ هـ).
انظر: تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٦٧)، الأعلام (٦ / ٢٧).

(٥) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث من الحادية عشرة مات سنة ست وخمسين في شوال وله اثنتان وستون سنة
انظر: تقريب التهذيب (١/ ٤٦٨).

سعيد الدارمي[١]، وإبراهيم الحربي[٢] وعبد الوهاب الوراق[٣]وعباس بن عبد العظيم العنبري[٤] وحرب بن إسماعيل الكرماني[٥]، ومن لا يحصى عَدده من أكابر أهل العلم والدين، وأصحاب

(١) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي، الدارمي، السجستاني: الامام، العلامة، الحافظ، الناقد، صاحب " المسند " الكبير والتصانيف، وأخذ علم الحديث وعلله عن علي ويحيى وأحمد، وفاق أهل زمانه، وكان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة، وصنف كتابا في الرد على بشر المريسي، وكتابا في الرد على الجهمية، توفي عثمان الدارمي في ذي الحجة سنة ثمانين ومائتين.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣١٩).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير البغدادي، الحربي، ولد سنة (١٩٨هـ) ، أصله من مرو، من أعلام المحدثين صاحب التصانيف، وطلب العلم وهو حدث، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكام، حافظا للحديث، مميزا لعلله، قيما بالأدب، تفقه على الإمام أحمد ،توفي ببغداد(٢٨٥ هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٣٥٦)، الأعلام (١ / ٣٢).

(٣) أبو الحسن عبد الوهاب بن عبد الحكم ويقال ابن الحكم ابن نافع، ، البغدادي نسائي الأصل الوراق، قال المروذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: عبد الوهاب الوراق رجل صالح، من خواص الإمام أحمد ،مات في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ومائتين دفن بباب البردان ببغداد

انظر: سير أعلام النبلاء (١٢ / ٣٢٣)، طبقات الحنابلة (١ / ٢٠٩)، موسوعة الأعلام (١ / ١٥٤).

(٤) أبو الفضل عباس بن عبد العظيم بن إسماعيل بن توبة العنبري البصري الحافظ. روى الحديث مات سنة ست وأربعين ومائتين.

انظر: طبقات الحفاظ (١ / ٢٥٣).

(٥) أبو محمد، حرب بن إسماعيل الكرماني، الفقيه، تلميذ أحمد بن حنبل، قال الخلال: كان رجلا جليلا، حثني المروذي على الخروج إليه، توفي في سنة ثمانين ومائتين، و عمر وقارب التسعين.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٣ / ٢٤٤)، طبقات الحنابلة (١ / ١٤٣).

أصحابه ممن جمع كلامه، (وأخباره)[1] كعبد الرحمن بن أبي حاتم[2]، وأبي بكر الخلال[3]، وأبي الحسن البناني الأصبهاني[4]، وأمثال هؤلاء، ومن كان أيضا يُأتم به وبأمثاله من الأئمة في الأصول

---

(١) في (ر): "واختاره".

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي الإمام ابن الإمام حافظ الري وابن حافظها كان بحرا في العلم وله المصنفات المشهورة رحل مع أبيه صغيرا وبنفسه كبيرا وسمع أباه وابن وارة وأبا زرعة و غيرهم، مات ابن أبى حاتم وهو في عشر التسعين في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

طبقات الشافعية الكبرى (٣ / ٣٢٤).

(٣) أبو بكر، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال. ولد في سنة أربع وثلاثين ومئتين، أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لابي بكر المروذي رحل إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلب فقه الامام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى توفي في شهر ربيع الاول سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وله سبع وسبعون سنة، ويقال: بل نيف على الثمانين.

سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٩٧).

(٤) أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر بن أبان العبدي (البناني –اللنباني-)* الاصبهاني الامام المحدث عنده كتب بن أبي الدنيا سمعها منه ومسند أحمد بن حنبل سمعه من ابنه وحديث كثير عن البغداديين مات سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

- ملاحظة: في الأصول المخطوطة والمطبوعة برسم البناني وفي كتب التراجم برسم اللنباني وقد نبه على هذا الاختلاف محقق تاريخ دمشق فقال: بالأصل، "البناني" والصواب ما أثبت عن تبصير المنتبه وقال محقق سير أعلام النبلاء: لنبان بضم اللام، وسكون النون، وفتح الباء المنقوطة بواحدة، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى محلة كبيرة بأصبهان

أنظر: طبقات المحدثين بأصبهان (٤ / ٢٥٤) سير أعلام النبلاء (١٥ / ٣١١).

والفروع، كأبي عيسى الترمذي[1] صاحب الجامع، وأبي عبد الرحمن النسائي[2] وأمثالهما، ومثل أبي محمد بن قتيبة وأمثاله، وبسط هذا له موضع آخر.

وقد ذكرنا في المسائل الطبرستانية[3] و الكيلانية[4] بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل .

[ ][5] والمقصود هنا أن كثيرا من الناس المتأخرين لم يعرفوا حقيقة كلام السلف والأئمة، فمنهم من يعظمهم ويقول إنه متبع لهم مع أنه مخالف لهم من حيث لا يشعر، ومنهم من يظن أنهم كانوا لا يعرفون أصول الدين ولا تقريرها بالدلائل البرهانية وذلك لجهله بعلمهم، بل لجهله بما جاء به الرسول من الحق الذي تدل عليه الدلائل العقلية مع السمعية، فلهذا يوجد كثير من المتأخرين يشتركون في أصل فاسد ثم يفرع كل قوم عليه فروعا فاسدة يلتزمونها، كما (صرحوا)[6] في تكلم الله تعالى بالقرآن العربي و [بالتوراة العبرية][7]، وما فيهما من حروف الهجاء

(١) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي الترمذي. صاحب الجامع والعلل الضرير الحافظ العلامة طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين وغيرهم كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.

أنظر: طبقات الحفاظ (١ / ١١٧).

(٢) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي: صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الاسلام. أصله من نسا بخراسان وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة بفلسطين وخرج عليلا، فمات ودفن ببيت المقدس.

أنظر: الأعلام للزركلي (١ / ١٧١).

(٣) لم أقف عليها

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٢ / ٣٢٣ – ٥٠١).

(٥) في (ر): عنوان "من يعظمون السلف والأئمة ويجهلون كلامهم فيخالفونه".

(٦) في (ظ): "خرجوا"

(٧) في (ظ): "العبري".

مؤلفا أو مفردا، لما رأوا أن [ذلك](١) {بلغ بصفات المخلوقين اشتبه بصفات المخلوقين}(٢) فلم يهتدوا لموضع الجمع والفرق فقال هؤلاء: هذا الذي يقرأ ويسمع مثل كلام المخلوقين فهو مخلوق .

وقال هؤلاء: هذا الذي من كلام الآدميين هو مثل كلام الله فيكون غير مخلوق كما ذكر ابن عقيل في "كتاب الإرشاد " عن بعض القائلين بأن القرآن مخلوق (فقال)(٣): شبهة اعترض [علي بها](٤) بعض أئمتهم فقال: أقل ما في القرآن من أمارات الحَدَث كونه مشبها لكلامنا، والقديم لا يشبه المحدث، ومعلوم أنه لا يمكن دفع ذلك، لأن قول القائل لغلامه يحي: يا يحي خذ الكتاب بقوة، يضاهي قوله سبحانه، حتى لا يُميّز السامع بينهما، من حيث حسه، إلا أن يخبره أحدهما بقصده، والآخر بقصده، فيميز بينهما بخبر القائل لا بحسه، وإذا اشتبها إلى هذا (الحد)(٥)، فكيف [يجوز](٦) دعوى قِدم ما يشابه المحدث، ويسد مسده، مع أنه إن جاز دعوى قدم الكلام مع كونه مشاهدا للمحدث جاز دعوى التشبيه بظواهر الآي والأخبار، ولا مانع من ذلك فلما فزعنا نحن وأنتم إلى نفي التشبيه خوفا من جواب دخول القرآن بالحدث علينا، كذلك يجب أن تفزعوا من القول بالقدم، مع وجود الشبه، حتى إن بعض أصحابكم يقول لقوة ما رأى من الشبه بينهما إن الكلام واحد والحروف غير مخلوقة فكيف يجوز أن يقال في الشيء الواحد إنه قديم محدث.

[ ](٧) قلت: وهذا الذي حكى عنه ابن عقيل من بعض الأصحاب المذكورين منهم القاضي يعقوب البرزيني ذكره في مصنفه فقال: دليل عاشر: وهو أن هذه الحروف بعينها وصفتها ومعناها وفائدتها هي التي في كتاب الله تعالى وفي أسمائه وصفاته، والكتاب بحروفه قديم؛ وكذلك

---

(١) "ذلك" ليست في (ر).

(٢) كذا في جميع النسخ.

(٣) في (ر): "فهو".

(٤) العبارة في (ق)(ر): "بها علي".

(٥) في (ظ): "الحال".

(٦) بياض في (ظ).

(٧) في (ر): عنوان "الشبهات على قدم الحروف بكلام الله وصفاته وأسمائه".

هاهنا، قال: فإن قيل: لا نسلم أن تلك لها حرمة، وهذه لا حرمة لها قيل: لا نسلم بل لها حرمة .

فإن قيل: لو كان لها حرمة لوجب أن تمنع الحائض والنفساء من مسها و[قراءتها][1]، قيل: قد لا تمنع من (قراءتها)[2] ومسها، ويكون لها حرمة كبعض آية، لا تمنع من قراءتها ولها حرمة، وهي قديمة وإنما لم تمنع [من][3] (قراءتها)[4] ومسها للحاجة [إلى تعليمها][5]، كما (تقول في الصبي)[6] يجوز له مس المصحف على غير طهارة للحاجة إلى تعليمه .

فإن قيل فيجب إذا حلف [أو أحلف][7] بها حالفٌ أن [ينعقد يمينه][8]، وإذا خالف يمينه أن يحنث قيل له: كما في حروف القرآن مثله نقول هنا.

فإن قيل: أليس إذا وافقها في هذه (المعاني)[9] دل على أنها هي، ألا ترى أنه إذا تكلم متكلم بكلمة يقصد بها خطاب آدمي فوافق صفتها صفة ما في [كتاب الله][10] تعالى، مثل قوله يا داود يا نوح يا يحيى وغير ذلك، فإنه موافق لهذه الأسماء التي في كتاب الله، وإن كانت في كتاب الله قديمة وفي خطاب الآدمي محدثة .

قيل: كل ما كان موافقا لكتاب الله من الكلام في لفظه ونظمه وحروفه، فهو من كتاب الله وإن قصد به خطاب آدمي .

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) في (ظ):"قراتها".

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ظ):"قراتها".

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) في (ظ): "يقال للصبي".

(٧) ليست في (ق)(ر).

(٨) غير واضحة في (ظ).

(٩) في (ظ): "المعنى".

(١٠) غير واضحة في (ظ).

فإن قيل: فيجب إذا أراد بهذه الأسماء آدميا وهو في الصلاة [أن لا تبطل صلاته قيل له: كذلك نقول][1]، [و][2] قد ورد مثل ذلك عن علي وغيره، إذ ناداه رجل من الخوارج ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3]، قال: فأجابه علي وهو في الصلاة ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[4]، وعن ابن مسعود أنه استأذن عليه بعض أصحابه فقال ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[5][6]، قال: فإن قيل أليس إذا قال ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[7] ونوى به خطاب غلام اسمه يحيى يكون الخطاب مخلوقا، وإن نوى به [القرآن يكون قديما][8] قيل له: في كلا الحالين يكون قديما، لأن القديم عبارة عما كان موجودا فيما لم يزل، والمحدث عبارة عما حدث بعد أن لم يكن، والنية لا تجعل المحدث قديما ولا القديم محدثا . قال: ومن قال هذا فقد بالغ في الجهل والخطأ .

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) ليست في (ر).

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الروم: ٦٠.

أما الأثر فلم أقف عليه، لكن قال الشنقيطي رحمه الله في الأضواء: روى من غير وجه أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ناداه رجل من الخوارج في صلاة الفجر، فقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فأجابه عليّ رضي اللَّه عنه وهو في الصّلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

انظر: أضواء البيان (٦ / ١٧٨)

(٥) لم أقف عليه.

(٦) سورة يوسف: ٩٩.

(٧) سورة مريم: ١٢.

(٨) غير واضحة في (ظ).

وقال أيضا: كل شيء (يشبه)[1] بشيء ما فإنما يشبهه في بعض الأشياء دون بعض ولا يشبهه من جميع أحواله؛ لأنه إذا كان مثله في جميع أحواله كان هو لا غيره، وقد بينا أن هذه الحروف تشبه حروف القرآن (فهي)[2] غيرها [أ.هـ][3] .

قلت: هذا كلام القاضي يعقوب [وأمثاله مع أنه أجل من تكلم][4]في هذه المسألة، ولما كان جوابه مشتملا على ما يخالف النص والإجماع والعقل، خالفه ابن عقيل وغيره من أئمة المذهب الذين هم أعلم به.

[ ][5] وأجاب ابن عقيل عن سؤال الذين قالوا هذا مثل هذا بأن قال: الاشتراك في الحقيقة لا يدل على الاشتراك في الحدوث، كما أن كونه عالما هو تبينه للشيء على أصلكم، ومعرفته به على قولنا على الوجه الذي (يبينه)[6] الواحد منا، وليس (مماثلا)[7] لنا في كوننا عالمين، وكذلك كونه قادرا هو صحة الفعل منه سبحانه وتعالى، وليست قدرته على الوجه الذي قدرنا عليها، فليس الاشتراك في الحقيقة حاصلا والافتراق في القدم والحدوث حاصل.

قال: وجواب آخر لا نقول إن الله يتكلم بكلامه على الوجه الذي يتكلم به زيد بمعنى أنه يقول: يا يحيى فإذا فرغ من ذلك انتقل إلى قوله خذ الكتاب بقوة، وترتب في الوجود كذلك، بل هو سبحانه وتعالى يتكلم به على وجه تعجز عن مثله أدواتنا، فما ذكرته من الاشتباه من قول القائل يا يحيى خذ الكتاب يعود إلى اشتباه التلاوة بالكلام المحدث، فأما أنه يشابه الكلام القائم بذاته فلا.

---

(١) في (ر): "يسبه".

(٢) في (ظ): "لا".

(٣) في (ظ): "أ.هـ".

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) في (ر): عنوان "أجوبة ابن عقيل عن شبهات القاضي يعقوب وكلاهما من الحنابلة".

(٦) في (ق): "يتبينه".

(٧) في (ر): "ماثلا".

[ ][1] قال ابن عقيل: قالوا فهذا لا يجيء على مذهبكم، فإن عندكم التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء، قيل: ليس معنى قولنا هي المتلو أنها هذه الأصوات المقطعة، وإنما نريد به ما يظهر من الحروف القديمة في الأصوات المحدثة، وظهورها في المحدث لا بد أن يكسبها صفة التقطيع لاختلاف الأنفاس وإدارة اللهوات[2]، لأن الآلة التي تظهر عليها لا تحمل الكلام إلا على وجه التقطيع، وكلام الباري قائم بذاته على خلاف هذا التقطيع والابتداء والانتهاء والتكرار والبعدية والقبلية.

ومن قال ذلك لم يعرف حد القديم، وادعى قدم الأعراض وتقطع القديم، وتقطع القديم عرض لا يقوم بقديم، ومن اعتقد أن كلام الله القائم بذاته على حد تلاوة التالي من القطع والوصل والتقريب والتبعيد والبعدية والقبلية فقد شبه الله بخلقه، ولهذا روي في الخبر " أن موسى سأله بنو إسرائيل كيف سمعت كلام ربك قال كالرعد الذي لا يترجع"[3] يعني ينقطع لعدم قطع الأنفاس، وعدم الأنفاس والآلات والشفاه واللهوات، ومن قال غير ذلك وتوهم أن الله تكلم على لسان التالي أو الكلام الذي قام بذاته على هذه الصفة من التقطيع والوصل والتقريب والتبعيد، فقد حكم به محدثا، لأن الدلالة (على)[4] حدوث العالم هو الاجتماع والافتراق؛ ولأن هذه من صفات الأدوات [أ.هـ][5].

قلت: فهذا الذي قاله ابن عقيل أقل خطأ مما قاله البرزيني، فإن ذلك مخالف للنص والإجماع والعقل مخالفة ظاهرة، فإنه قد ثبت بالنص والإجماع أن من تكلم في الصلاة بكلام الآدميين عامدا لغير مصلحتها عالما بالتحريم بطلت صلاته بالإجماع، خلاف ما ذكره القاضي يعقوب،

---

(١) في (ر): عنوان "فصل شيخ الإسلام في الخلاف".

(٢) جمع لهات واللَّهاةُ: اللحمة المشرفة على الحَلْق أو ما بين مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِسانِ إلى مُنْقَطَعِ القَلْبِ من أَعْلَى الفَمِ، ج: لَهَواتٌ ولَهَياتٌ ولُهِيٌّ ولِهِيٌّ ولَهَاءٌ ولِهاءٌ، وفي النهاية: اللهوات: جمع لهاة وهي اللّحمات في سقف أقصى الفَم.

أنظر: النهاية (٤ / ٢٨٤)، المعجم الوسيط (٢ / ٨٤٣)

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ظ): "ينافي".

(٥) ليست في (ظ).

ومتى قصد به التلاوة لم تبطل بالإجماع، وإن قصد به التلاوة والخطاب ففيه نزاع، وظاهر مذهب أحمد لا تبطل كمذهب الشافعي وغيره، وقيل تبطل كقول أبي حنيفة وغيره[١]، وما ذكروه عن الصحابة حجة عليهم، فإن قول علي بن أبي طالب: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٢] هو كلام الله، ولم يقصد علي أن يقول للخارجي: ولا يستخفنك [الخوارج][٣]، وإنما قصد أن يُسمعه الآية وأنه [عامل][٤] بها صابر لا يستخفه الذين لا يوقنون، وابن مسعود قال لهم وهو بالكوفة[٥]﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٦]، ومعلوم أن مصر[٧] بلا تنوين هي مصر المدينة، وهذه لم تكن بالكوفة، وابن مسعود إنما كان بالكوفة؛ فعلم أنه قصد تلاوة الآية وقصد مع ذلك تنبيه الحاضرين على الدخول، فإنهم سمعوا قوله ادخلوا فعلموا أنه أذن لهم في الدخول وإن كان هو تلا الآية فهذا هذا.

---

(١) انظر: المغني (١ / ٧٣٥)، الإجماع لابن المنذر (١ / ٤٢).

(٢) سورة الروم: ٦٠.

(٣) ليست في (ظ).

(٤) بياض في (ظ).

(٥) مدينة العراق في الجنوب منه ، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة، اختطها سعد بن أبي وقاص بأمر عمر بن الخطاب، فأقطع عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووخطت كل قبيلة منها فبها خطط العرب وهي على معظم الفرات، ومنه شرب أهلها، وهي من أطيب البلدان، وأفسحها، وأوسعها، قيل سميت بالكوفة لاستدارتها وقيل لاجتماع الناس بها، نزلها عدد من الصحابة فشاع العلم، و ما زال العلم بها متوفّرًا ، ثم تناقص شيئًا فشيئًا و تلاشى، و هي الآن دار الروافض.
انظر: معجم البلدان (٤/١٦٠)، الأمصار ذوات الآثار (١ / ٣).

(٦) سورة الروم: ٦٠.

(٧) مصر بلد عظيم، و قطر متّسع شرقيّ، و غربيّ، و صعيد أعلى و أدنى ، فتحت زمن عمر بن الخطاب بقيادة عمرو بن العاص تم صار أميرها وأنشأ مدينة الفسطاط و سكنها خلقٌ من الصحابة، و كثر العلم بها في زمن التابعين قامت فيها دول إسلامية كثيرة، وكانت منازل الفراعنة، يذكر أن كثيرا من الأنبياء دخلها، أشهر مدنها الجيزة والإسكندرية والفسطاط والقاهرة.
انظر: معجم البلدان (٤ / ٢٧٢)، الأمصار ذوات الآثار (١/٢٨).

[ ][1] وأما جواب ابن عقيل فبناه على أصل ابن كلاب الذي يعتقده هو وشيخه وغيرهما، وهو الأصل الذي وافقوا فيه ابن كلاب، ومن اتبعه كالأشعري وغيره، وهو أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته وأنه ليس فيما يقوم به شيء يكون بمشيئته وقدرته، لامتناع قيام الأمور الاختيارية به عندهم، لأنها حادثة والله لا يقوم به حادث عندهم، ولهذا تأولوا النصوص المناقضة لهذا الأصل كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، فإن هذا يقتضي أنه سيرى الأعمال في المستقبل وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَسَيَرَى[4] ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[5]، وكذلك قوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[6] فإن هذا يقتضي أنه يحبهم بعد إتباع الرسول، وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾[7]، فإن هذا يقتضي أنه قال لهم بعد خلق آدم وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾[8] يقتضي أنه نودي لما أتاها ، لم يناد قبل ذلك وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[9]، ومثل هذا في القرآن كثير.

---

(١) في (ر): عنوان "تخطئته لابن عقيل فيما وافق فيه ابن كلاب كالأشعري".

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

(٣) ي سورة ونس: ١٤.

(٤) في (ر):"فسيرى" سورة التوبة: ١٠٥.

(٥) سورة التوبة: ٩٤.

(٦) سورة آل عمران: ٣١.

(٧) سورة الأعراف: ١١.

(٨) سورة طه: ١١.

(٩) سورة يس: ٨٢.

وهذا الأصل هو مما أنكره [الإمام][1] أحمد على ابن كلاب وأصحابه، حتى على الحارث المحاسبي[2] مع جلالة قدر الحارث، وأمر أحمد بهجره وهجر الكُلابية وقال: احذروا من [حارث][3]، الآفة كلها من حارث، فمات الحارث، وما صلى عليه إلا نفر قليل بسبب تحذير الإمام أحمد عنه، مع أن فيه من العلم والدين [ما هو][4] أفضل من عامة من وافق ابن كلاب على هذا الأصل، وقد قيل إن الحارث رجع عن ذلك وأقر بأن الله يتكلم بصوت كما حكى عنه ذلك صاحب " [التعرف][5] لمذهب التصوف " أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي[6]. وكثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة وافقوا ابن كلاب على هذا الأصل كما قد بسط الكلام على ذلك في مواضع أخر .

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد البغدادي، من أكابر الصوفية، كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، قال الجنيد: خلف له أبوه مالا كثيرا فتركه، وقال: لا يتوارث أهل ملتين ،وكان أبوه واقفيا في مسألة خلق القرآن، له تصانيف في الرد على المعتزلة وغيرهم، قال أبو القاسم النصرأباذي: بلغني أن الحارث تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفى فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر، وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبي فقال لبعض أصحابه ما سمعت في الحقائق مثل كلام هذا الرجل ولا أرى لك صحبتهم، قال الذهبي: المحاسبي كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد سنة (٢٤٣ هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٢ / ١١٠)، تهذيب التهذيب (٢ / ١٣٤)، الأعلام (٢ / ١٥٣)، التعرف لمذهب التصوف (١١٣/١).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، من حفاظ الحديث، من أهل بخاري توفي سنة (٣٨٠ هـ).

انظر: الأعلام (٥ / ٢٩٥).

واختلف كلام ابن عقيل في هذا الأصل فتارة يقول بقول [ابن كلاب وتارة][1] يقول [بمذهب السلف][2] وأهل الحديث، أن الله تقوم به الأمور [الاختيارية][3]، ويقول إنه قام به أبصار متجددة حين [تجدد المرئيات لم][4] تكن قبل ذلك، وقام به علم بأن كل شيء وجد غير العلم الذي كان أولا أنه سيوجد كما دل على ذلك عدة آيات في القرآن كقوله تعالى: ﴿لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾[5] وغير ذلك، وكلامه في هذا الأصل وغيره [يختلف تارة يقول][6] بهذا، وتارة يقول بهذا، فإن هذه المواضع مواضع مشكلة كثر فيها غلط الناس، لما فيها من [الاشتباه والالتباس][7].

[ ][8] [والجواب][9] الحق: أن كلام الله لا يماثل كلام المخلوقين، كما لا يماثل في شيء من صفاته صفات المخلوقين، وقول القائل: إن الاشتراك في الحقيقة لا [يدل][10] على الاشتراك في الحدوث لفظ مجمل، فإنا إذا قلنا: لله علم ولنا علم، أو له قدرة ولنا قدرة، أو له كلام ولنا كلام، أو تكلم بصوت ونحن نتكلم بصوت، وقلنا صفة الخالق وصفة المخلوق اشتركتا في الحقيقة، [فإن أريد بذلك][11] أن حقيقتهما واحدة بالعين فهذا مخالف للحس والعقل والشرع، وإن أريد بذلك أن هذه مماثلة لهذه في الحقيقة، وإنما اختلفتا في الصفات العرضية كما قال

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) سورة البقرة: ١٤٣.

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

(٨) في (ر): عنوان "الجواب الحق التفصيلي في كلام الخالق وكلام المخلوق".

(٩) غير واضحة في (ظ).

(١٠) غير واضحة في (ظ).

(١١) غير واضحة في (ظ).

ذلك [طائفة من أهل][1] الكلام [وقد بين فساد][2] ذلك في الكلام على " الأربعين " للرازي وغير ذلك، فهذا أيضا من أبطل الباطل وذلك يستلزم أن تكون حقيقة ذات الباري عز وجل مماثلة لحقيقة ذوات المخلوقين .

[ ][3] وإن أريد بذلك أنهما اشتركا في مسمى العلم والقدرة والكلام فهذا صحيح ،كما أنه إذا قيل إنه موجود، أو إن له ذاتا فقد اشتركا في مسمى الوجود { والذات لكن هذا المشترك [أمر][4] كلي لا يوجد كليا إلا في الأذهان لا في }[5] الأعيان، فليس في الخارج شيء اشترك فيه مخلوقان كاشتراك الجزئيات في كلياتها، بخلاف اشتراك الأجزاء في الكل [فإنه يجب][6] الفرق بين قسمة [الكلي إلى جزئياته كقسمة الحيوان][7] إلى ناطق وغير ناطق، وقسمة الإنسان إلى مسلم وكافر، وقسمة الاسم إلى معرب [ومبني][8]، وقسمة [الكل][9] إلى أجزائه كقسمة العقار بين الشركاء، وقسمة الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ففي [الأول إنما اشتركت الأقسام][10] في أمر كلي، [فضلا][11] عن أن يكون الخالق و المخلوقون مشتركِين في شيء موجود في [الخارج][12]، وليس في الخارج صفة لله يماثل بها صفة المخلوق،[بل كل ما يوصف به الرب

---

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) في (ر): عنوان "كلام الخالق وكلام المخلوق مشترك في التسمية لا في الحقيقة".

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) ما بين الخاصرتين ليست في (ر).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

(٨) غير واضحة في (ظ).

(٩)غير واضحة في (ظ).

(١٠) غير واضحة في (ظ).

(١١) غير واضحة في (ظ).

(١٢) غير واضحة في (ظ).

تعالى فهو مخالف بالحد والحقيقة لما يوصف به المخلوق أعظم مما يخالف][1] المخلوق [المخلوق][2] وإذا كان المخلوق [مخالفا][3] بذاته وصفاته لبعض المخلوقات في الحد والحقيقة، فمخالفة [الخالق][4] لكل مخلوق في الحقيقة أعظم من مخالفة أي مخلوق فُرض لأي مخلوق فُرض، ولكن علمه ثبت له حقيقة العلم، (ولقدرته)[5] حقيقة القدرة، ولكلامه حقيقة الكلام، كما ثبت لذاته حقيقة الذاتية، ولوجوده حقيقة الوجود [وهو أحق بأن تثبت له صفات][6] الكمال على الحقيقة من كل ما سواه .

فهذا هو المراد بقولنا: علمه يشارك علم المخلوق في الحقيقة، فليس ما يسمع من العباد من أصواتهم مشابها ولا مماثلا لما سمعه موسى من صوته إلا كما يشبه ويماثل غير ذلك من صفاته لصفات المخلوقين، فهذا في نفس تكلمه سبحانه وتعالى بالقرآن، والقرآن عند الإمام أحمد وسائر أئمة السنة كلامه تكلم به، وتكلم بالقرآن العربي بصوت نفسه، وكلم موسى بصوت نفسه الذي (لا)[7] يماثل شيئا من أصوات العباد.

---

(١) في (ظ): كذا العبارة "الرب تعالى منه يخالف بالحد والحقيقة ما به يوصف به المخلوق أعظم مما يخالف".

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) ليست في (ظ).

(٦) غير واضحة في(ظ).

(٧) ليست في(ر).

[ ][1] [ثم][2] إذا [قرأنا][3] القرآن فإنما (نقرأه)[4] بأصواتنا المخلوقة التي لا تماثل صوت الرب، فالقرآن الذي (نقرأه)[5] هو كلام الله مبلغا عنه لا مسموعا منه، وإنما (نقرأه)[6] بحركاتنا وأصواتنا، الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مع العقل قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[7] وقال النبي صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن بأصواتكم "[8]، وقال الإمام أحمد في قول النبي صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لم يتغن بالقرآن "[9] قال يزينه ويحسنه بصوته كما قال: "زينوا القرآن بأصواتكم "[10] .

---

(١) في (ر): عنوان "ما يقوم من الكلام بنفس المتكلم وما يقوم بنفس المبلغ له".

(٢) غير واضحة في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) في (ق): " نقرؤه ".

(٥) في (ق): "نقرؤه ".

(٦) في (ق): " نقرؤه ".

(٧) سورة التوبة: ٦.

(٨) تقدم صفحة.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ٩٧ –كتاب التوحيد / ٤٤- باب قول الله تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به..)الأية / رقم الصفحة (١/٦٨٢) /رقم الحديث (٧٥٢٧).

(١٠) انظر: سنن أبي داود: ٨-كتاب الوتر / ٢٠- باب كيف يستحب الترتيل في القراءة / رقم الصفحة (١/١٣٢٢) / رقم الحديث (١٤٦٨).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

انظر: صحيح سنن أبي داود: ٢-كتاب الصلاة / ٣٥٥- باب استحباب الترتيل في الصلاة / رقم الصفحة (١/٤٠٣) / رقم الحديث (١٤٦٤).

انظر: سنن النسائي: ١٢-كتاب االتطبيق/ ٨٣- باب مد الصوت بالقراءة / رقم الصفحة (١/ ٢١٥٣) / رقم الحديث (١٠١٦).

قال الألباني: صحيح.

فنص أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة [أنا نقرأ][1] القرآن بأصواتنا، والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه، سمعه جبريل من الله، وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه محمد منه، وبلغه محمد إلى الخلق، والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض، ويسمعه بعضهم من بعض، ومعلوم أنهم إذا سمعوا كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره فبلغوه عنه كما قال: "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه"[2] فهم سمعوا اللفظ من الرسول بصوت نفسه بالحروف التي تكلم بها، وبلغوا لفظه بأصوات أنفسهم، وقد علم الفرق بين من يروي الحديث بالمعنى لا باللفظ، واللفظ المبلغ (هو)[3] لفظ الرسول وهو كلام الرسول، فإن كان صوت المبلغ ليس صوت الرسول، وليس ما قام بالرسول من الصفات والأعراض فارقته، و [ما][4] قامت بغيره؛ بل ولا تقوم الصفة والعرض بغير محله، وإذا كان هذا معقولا في صفات المخلوقين، فصفات الخالق أولى بكل صفة كمال، وأبعد عن كل صفة نقص، والتباين الذي بين صفة الخالق والمخلوق أعظم من التباين الذي بين صفة مخلوق ومخلوق، وامتناع الاتحاد والحلول بالذات للخالق وصفاته في المخلوق أعظم من الاتحاد والحلول بالذات للمخلوق وصفاته في المخلوق وهذه جمل قد بسطت في مواضع أخر .

انظر: صحيح سنن النسائي: (١١)كتاب الافتتاح (٨٣)باب تزيين القرآن بالصوت / رقم الصفحة (٣٣٢/١) / رقم الحديث (١٠١٤).

(١) غير واضحة في (ظ).

(٢) انظر: سنن أبي داود: ٢٤-كتاب العلم /١٠- باب فضل نشر العلم / رقم الصفحة (١٤٩٤/١) / رقم الحديث (٣٦٦٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

انظر: صحيح سنن أبي داود: ١٩ -كتاب العلم / ٩- باب فضل نشر العلم / رقم الصفحة (٤١١/٢) / رقم الحديث (٣٦٦٠).

(٣) ليست في (ظ) و(ر).

(٤) في (ظ): " لا ".

[ ][1] هذا مع أن احتجاج الجهمية والمعتزلة بأن كلام المخلوق بقوله: ﴿يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[2] مثل كلام الخالق غلط باتفاق الناس، حتى عندهم فإن الذين يقولون هو مخلوق يقولون إنه خلقه في بعض الأجسام إما الهواء أو غيره، كما يقولون: إنه خلق الكلام في نفس الشجرة فسمعه موسى.

ومعلوم أن تلك الحروف والأصوات التي خلقها الله ليست مماثلة لما يسمع من العبد، وتلك هي كلام الله المسموع منه عندهم؛ كما أن أهل السنة الذين يقولون الذي تكلم هو الله بمشيئته وليس ذلك مماثلا لصوت العبد.

وأما القائلون بقدم الكلام المعين سواء كان معنى أو حروفا أو أصواتا فيقولون: خلق لموسى إدراكا أدرك به ذلك القديم، وبكل حال فكلام المتكلم إذا سمع من المبلغ عنه [غير ما قام بنفس المتكلم المنشئ][3] فكيف (لا)[4] يكون ذلك في كلام الله تعالى .

فيجب على الإنسان في مسألة الكلام أن يتحرى أصلين: أحدهما تكلم الله بالقرآن وغيره هل تكلم به بمشيئته وقدرته أم لا، وهل تكلم بكلام قائم بذاته أم خلقه في غيره.

والثاني تبليغ ذلك الكلام عن الله وأنه ليس مما يتصف به الثاني، وإن كان المقصود بالتبليغ الكلام المبلغ [وبسط][5] هذا له موضع آخر .

[ ][6] وأيضا فهذان المتنازعان إذا قال أحدهما: إنها قديمة وليس لها مبتدأ، وشكلها ونقطها محدث، وقال الآخر: إنها ليست (بكلامه)[7]، وإنها مخلوقة بشكلها ونقطها؛ قد يفهم من هذا

---

(١) في (ر): عنوان "شبهة الجهمية والمعتزلة في (يا يحي خذ الكتاب)".

(٢) سورة مريم: ١٢.

(٣) ليست في (ظ)(ر)، قال محقق نسخة (ر) ما نصه: قد سقط من الناسخ هنا الخبر "فكلام المتكلم" ويعلم مما سبق وهو أن ما قام بنفس المبلغ غير ما قام بنفس المنشئ للكلام ولكنه مثله لتماثل كلام بشر، وبه يظهر قوله فكيف يكون ذلك في كلام الله تعالى؟ يعني وهو لا يماثل كلام البشر.

(٤) ليست في (ظ)(ر).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) في (ر): عنوان "سبب ترك الصحابة لنقط المصحف ونقط التابعين له وشكاه وكيف كان".

(٧) في (ق): " بكلام الله ".

أنهما أرادا بالحروف الحروف المكتوبة دون المنطوقة، والحروف المكتوبة قد تنازع الناس في شكلها ونقطها، فإن الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة؛ لأنهم إنما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم لا على المصاحف، وهو منقول بالتواتر محفوظ في الصدور ولو عدمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة، فإن المسلمين ليسوا كأهل الكتاب الذين يعتمدون على الكتب التي تقبل التغير، والله أنزل القرآن على محمد فتلقاه تلقيا وحفظه في قلبه، لم ينزله مكتوبا كالتوراة، وأنزله منجما مفرقا ليحفظ فلا يحتاج إلى كتاب كما قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ ﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[3] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾[4] الآية، وفي الصحيح عن ابن عباس قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان يحرك شفتيه فقال ابن عباس: أنا أحركهما لك كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾[5]، قال جمعه في صدرك ثم تقرأه: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾[6] قال: فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾[7] أي نبينه بلسانك؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه

---

(١) سورة الفرقان: ٣٢.

(٢) سورة الإسراء: ١٠٦.

(٣) سورة طه: ١١٤.

(٤) سورة القيامة: ١٧.

(٥) سورة القيامة: ١٦ — ١٧.

(٦) سورة القيامة: ١٨.

(٧) سورة القيامة: ١٩.

وسلم كما أقرأه"(١)؛ فلهذا [ ](٢) لم تكن الصحابة ينقطون المصاحف ويشكلونها، وأيضا كانوا عربا لا يلحنون؛ فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط، وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء مثل: يعملون وتعملون، فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى .

ثم إنه في زمن التابعين لما حدث اللحن، صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها، وكانوا يعملون ذلك بالحمرة، ويعملون الفتح بنقطة حمراء فوق الحرف، والكسرة بنقطة حمراء تحته، والضمة بنقطة حمراء أمامه، ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك " شد"، ويعملون المدة بقولك " مد "، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين؛ لأن الهمزة أخت العين، ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين، وعلامة المدة مختصرة، كما يختصر أهل الديوان ألفاظ العدد وغير ذلك، وكما يختصر المحدثون أخبرنا وحدثنا، فيكتبون أول اللفظ وآخره على شكل " أنا " وعلى شكل " ثنا ".

[ ](٣) وتنازع العلماء هل يكره تشكيل المصاحف وتنقيطها على قولين معروفين، وهما روايتان عن الإمام أحمد، لكن لا نزاع بينهم أن المصحف إذا شكل ونقط وجب احترام الشكل والنقط كما يجب احترام الحرف، ولا تنازع بينهم أن مداد النقطة والشكل مخلوق كما أن مداد الحرف مخلوق، ولا نزاع بينهم أن الشكل يدل على الإعراب، والنقط يدل على الحروف، وأن الإعراب من تمام الكلام العربي.

---

(١) انظر: صحيح البخاري: ١- كتاب بدء الوحي / ١- باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله عز وجل (إنا أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) / رقم الصفحة (١/١)/ رقم الحديث (٥).

انظر: صحيح مسلم: ٤ —كتاب الصلاة / ٣٢ — باب الاستماع للقراءة / رقم الصفحة (١/٧٤٩) / رقم الحديث (١٠٠٥).

(٢) في (ظ): كلمة "قال" مضروبة.

(٣) في (ر): عنوان "ما ينبغي لمن له الحق في المسألة ولمن خفي عليه".

ويروى عن أبي بكر وعمر أنهما قالا: حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه[١]، ولا ريب أن النقطة والشكلة بمجردهما (لا)[٢] حكم لهما، ولا حرمة، ولا ينبغي أن يجرد الكلام فيهما، ولا ريب أن إعراب القرآن العربي من تمامه، [ويجب الاعتناء][٣] بإعرابه والشكل يبيّن إعرابه كما تبيّن الحروف المكتوبة للحرف المنطوق، كذلك يبين الشكل المكتوب للإعراب المنطوق .

فهذه المسائل إذا تصورها الناس على وجهها تصورا [تاما][٤] ظهر [لهم][٥] الصواب، [وقلّت][٦] الأهواء والعصبيات، وعرفوا موارد النزاع فمن تبين له الحق في شيء من ذلك [اتبعه][٧]، ومن خفي عليه توقف حتى [يبينه][٨] الله له، وينبغي له أن يستعين على ذلك بدعاء الله ومن أحسن [ذلك ما رواه][٩] مسلم في صحيحه عن عائشة " أن النبي (صلى الله عليه وسلم)[١٠] كان إذا قام من الليل يصلي يقول: اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر

---

(١) قال أبو جعفر: حدثنا أبو الحسن أجمد بن سعيد الدمشقي عن عبد الخالق عن أبي عبيد قال حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن واصل مولى أبي عيينة قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه.

انظر: إعراب القرآن للنحاس (٩/١)

(٢) ليست في (ظ).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) غير واضحة في (ظ).

(٨) غير واضحة في (ظ).

(٩) غير واضحة وفي (ظ).

(١٠) في (ظ): " صلم ".

السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من [تشاء][(١)] إلى صراط مستقيم "[(٢)].

وأقول: القائل الآخر كلامه كتب بها: يقتضي أنه أراد بالحروف ما يتناول المنطوق والمكتوب كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم)[(٣)] " من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف "[(٤)]، قال الترمذي: حديث صحيح، [فهنا لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بالحرف...][(٥)] نفس المداد وشكل المداد وإنما أراد الحرف المنطوق، وفي مراده بالحرف [قولان قيل][(٦)] هذا اللفظ المفرد، و (قيل)[(٧)] أراد (صلى الله عليه وسلم)[(٨)] بالحرف الاسم كما قال[ألف حرف ولام حرف][(٩)] وميم حرف.

---

(١) غير واضحة وفي (ظ).

(٢) انظر: صحيح مسلم: ٦- صلاة المسافرين / ٢٦- صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل / رقم الصفحة (١/٨٠٠) / رقم الحديث ٠١٨١١).

(٣) في (ظ): " صلم ".

(٤) انظر: سنن الترمذي: ٤٢-كتاب فضائل القرآن / ١٦- باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر / رقم الصفحة (١/١٩٤٤) / رقم الحديث (٢٩١٠).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه سمعت قتيبة يقول بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومحمد بن كعب يكنى أبا حمزة.

قال الشيخ الألباني: صحيح.

انظر: صحيح الترمذي: ١٩ –كتاب ثواب القرآن / ١٦- باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر / رقم الصفحة (٣/١٦٤) / رقم الحديث (٢٩١٠).

(٥) غير واضحة في (ظ).

(٦) غير واضحة في (ظ).

(٧) ليست في (ظ).

(٨) في (ظ): "صلم".

(٩) غير واضحة في (ظ).

[ ][1] ولفظ الحرف والكلمة له في لغة العرب التي كان النبي (صلى الله عليه وسلم)[2] يتكلم بها معنى، و[له][3] في اصطلاح [النحاة][4] معنى، فالكلمة في لغتهم هي الجملة التامة، الجملة الاسمية أو الفعلية كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم)[5] في الحديث المتفق على صحته: "كلمتان خفيفتان على اللسان ( )[6] ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[7]، وقال (صلى الله عليه وسلم)[8]: "إن أصدق كلمة قالها (شاعر)[9] كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل "[10] وقال: إن العبد [ليتكلم بالكلمة من رضوان الله][11] ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب له بها (رضوانه)[12] [إلى يوم القيامة][13]، وإن العبد

---

(١) في (ر): عنوان "معنى الحرف اللغة وفي اصطلاح النحاة".

(٢) في (ظ): "صلم".

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) غير واضحة في (ظ).

(٥) في (ظ): "صلم".

(٦) في (ر): زيادة "و".

(٧) انظر: صحيح البخاري: ٩٧-كتاب التوحيد / ٥٨- باب قول الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن / رقم الصفحة (٦٣١/١) / رقم الحديث (٧٥٦٣).

انظر: صحيح مسلم: ٤٨ –كتاب الذكر والدعاء / ١٠ – باب فضل التهليل والتسبيح والذكر / رقم الصفحة (١١٤٦/١)/ رقم الحديث (٦٨٤٦).

(٨) في (ظ) "صلم".

(٩) في (ق)(ر): "الشاعر".

(١٠) انظر: صحيح البخاري: ٧٨ –كتاب الآداب / ٩٠ – باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه / رقم الصفحة (٥١٨/١) / رقم الحديث (٦١٤٧).

انظر: صحيح مسلم: ٤١ –كتاب الشعر / ١ – باب في إنشاد الشعر وبيان أشعر كلمة وذم الشعر / رقم الصفحة (١٠٨٧/١) / رقم الحديث (٥٨٨٩).

(١١) غير واضحة في(ظ).

(١٢) في (ر): "رضوان الله".

(١٣) غير واضحة في(ظ).

ليتكلم بالكلمة [من سخط الله][1]ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة)[2]، وقال لأم المؤمنين " لقد قلت بعدك [أربع كلمات لو وزنت][3] بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته"[4] ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [5]، وقوله: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[7] وقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[8]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ

---

(١) غير واضحة في(ظ).

(٢) انظر: صحيح البخاري: ٨١ -كتاب الرقاق / ٢٣- باب حفظ اللسان / رقم الصفحة (١/٥٤٣) / رقم الحديث (٦٤٧٨).

انظر: صحيح مسلم: ٥٣ -كتاب الزهد / ٦- باب حفظ اللسان / رقم الصفحة (١/١١٩٥) /رقم الحديث (٧٤٨٢).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) انظر: صحيح مسلم: ٤٨ —كتاب الذكر والدعاء والاستغفار / ١٩ - باب التسبيح أول النهار وعند النوم / رقم الصفحة (١/ ١١٥١) / رقم الحديث (٦٩١٣).

(٥) سورة الكهف: ٥.

(٦) سورة الفتح: ٢٦.

(٧) سورة آل عمران: ٦٤.

(٨) سورة الزخرف: ٢٨.

﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾[1]،وقول النبي (صلى الله عليه وسلم)[2] "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "[3] ونظائره كثيرة .

ولا يوجد قط في الكتاب والسنة وكلام العرب لفظ الكلمة إلا والمراد به الجملة التامة، فكثير من النحاة أو أكثرهم لا يعرفون ذلك؛ بل يظنون أن اصطلاحهم في مسمى [ ][4] الكلمة (تنقسم)[5] إلى اسم وفعل وحرف هو لغة العرب والفاضل منهم يقول:

وكلمة بها كلام قد يؤم[6]

ويقولون: العرب قد تستعمل الكلمة في الجملة التامة، وتستعملها في المفرد وهذا غلط لا يوجد قط في كلام العرب لفظ الكلمة إلا للجملة التامة.

[ ][7] ومثل هذا اصطلاح المتكلمين على أن القديم هو ما لا أول لوجوده، أو ما لم يسبقه عدم، ثم يقول بعضهم: وقد يستعمل القديم في المتقدم على غيره سواء كان أزليا أو لم يكن، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[8]، وقال: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) في (ظ): "صلم".

(٣) انظر: صحيح البخاري: ٥٦- كتاب الجهاد / ١٥ – من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا / رقم الصفحة (١/٢٢٦) / رقم الحديث (٢٨١٠).

انظر: صحيح مسلم: ٣٣- كتاب الإمارة / ٤٢ - باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله / رقم الصفحة (١/١٠١٨)/ رقم الحديث (٤٩١٩).

(٤) في (ظ): كلمة مضروبة.

(٥) في (ق)(ر): "ينقسم".

(٦) ألفية ابن مالك (١/٢).

(٧) في (ر): عنوان "اصطلاحات المتكلمين والفقهاء المخالفة للغة ومنها القديم والمحدث".

(٨) سورة يس: ٣٩.

(٩) سورة الأحقاف: ١١.

ﵟٱلۡقَدِيمِﵞ [1]، وقال: ﵟقَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَﵞ [2] وتخصيص القديم بالأول عرف اصطلاحي، ولا ريب أنه أولى بالقدم في لغة العرب؛ ولهذا كان لفظ المحدث في لغة العرب بإزاء القديم قال تعالى: ﵟمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍﵞ [3]، وهذا يقتضي أن الذي نزل قبله ليس بمحدث بل متقدم، وهذا موافق للغة العرب (التي)[4] نزل بها القرآن، ونظير هذا لفظ القضاء (فإنه)[5] في كلام الله وكلام الرسول المراد به إتمام العبادة وإن كان ذلك في وقتها كما قال تعالى: ﵟفَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِﵞ [6]، وقوله: ﵟفَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡﵞ [7] ثم اصطلح طائفة من الفقهاء فجعلوا لفظ القضاء مختصا بفعلها في غير وقتها، ولفظ الأداء مختصا بما يفعل في الوقت، وهذا التفريق لا يعرف قط في كلام الرسول ثم يقولون قد (يستعمل)[8] لفظ القضاء في الأداء فيجعلون اللغة التي نزل القرآن بها من النادر .

---

(١) سورة يوسف: ٩٥.

(٢) سورة الشعراء:٧٥-٧٦.

(٣) سورة الأنبياء: ٢.

(٤) في (ر): "الذي".

(٥) في (ظ): "فإنها".

(٦) سورة الجمعة: ١٠.

(٧) سورة البقرة: ٢٠٠.

(٨) في (ظ): "نستعمل".

ولهذا يتنازعون في مراد النبي (صلى الله عليه وسلم)[١] " فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا" وفي لفظ: " فأتموا "[٢] فيظنون أن بين اللفظين خلافا وليس الأمر كذلك؛ بل قوله: " فاقضوا "كقوله: " فأتموا " لم يرد بأحدهما الفعل بعد الوقت، بل لا يوجد في كلام الشارع أمر بالعبادة في غير وقتها لكن الوقت وقتان: وقت عام ووقت خاص لأهل الأعذار: كالنائم والناسي إذا صليا بعد الاستيقاظ والذكر [فإنما][٣]صليا في الوقت الذي أمر الله به (وإن)[٤] هذا ليس وقتا في حق (غيرهما)[٥] .

[ ][٦] ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها.

وما ذكر في مسمى " الكلام " ما ذكره سيبويه في كتابه عن العرب فقال: "واعلم أن (قلت)[٧] في كلام العرب إنما وقعت على أن تحكى وإنما (تحكى)[٨] بعد القول ما كان كلاما قولا "[٩]

---

(١) في (ظ): "صلم".

(٢) انظر: صحيح البخاري: ١٠- كتاب الأذان / ١٦- باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء / رقم الصفحة (١/٥٠) / رقم الحديث (٦٢٧).

انظر: صحيح مسلم: ٥- كتاب المساجد و مواضع الصلاة / ٢٨ – باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيا / رقم الصفحة (١/٧٧١)/ رقم الحديث (١٣٦٠).

(٣) غير واضحة في (ظ).

(٤) في (ق): "فإن".

(٥) في (ظ): "غيره".

(٦) في (ر): عنوان "الغلط في فهم كلام الله ورسوله بتفسيرهما باصطلاحات العلماء".

(٧) ليست في (ق).

(٨) في (ق): "يحكى".

(٩) كذا في جميع النسخ، ووقع في كتاب سيبويه المطبوعة قوله: واعلم أن قلتُ إنّما وقعت في الكلام العرب على أن يُحكى بها وإنما تَحكِي بعد القول ما كان كلاماً لا قول نحو قلتُ زيدٌ منطلقٌ لأنه يَحسن أن تقول زيدٌ منطلقٌ..لخ.

انظر: كتاب سيبويه (١ / ١٢٢)

. [فلا][1] وإلا فلا يوجد قط لفظ الكلام والكلمة إلا للجملة التامة في كلام العرب، ولفظ الحرف يراد به الاسم والفعل وحروف المعاني واسم حروف الهجاء، ولهذا سأل الخليل أصحابه كيف (تنطقون)[2] بالزاي من زيد فقالوا: زاي فقال نطقتم بالاسم وإنما الحرف (زه)[3]، فبين الخليل أن هذه التي تسمى حروف الهجاء هي أسماء .

وكثيرا ما يوجد في كلام المتقدمين هذا "حرف من الغريب" يعبرون بذلك عن الاسم التام فقوله (صلى الله عليه وسلم)[4] "فله بكل حرف" مثله بقوله: "ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"، وعلى نهج ذلك: وذلك حرف والكتاب حرف ونحو ذلك، وقد قيل: إن ذلك أحرف والكتاب أحرف وروي ذلك مفسرا في بعض الطرق .

[ ][5] والنحاة اصطلحوا اصطلاحا خاصا فجعلوا لفظ الكلمة يراد به الاسم أو الفعل أو الحرف الذي هو من حروف المعاني؛ لأن سيبويه قال في أول كتابه: "الكلام [ ][6] اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[7]، فجعل هذا حرفا خاصا وهو الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، لأن سيبويه كان حديث العهد بلغة العرب، وقد عرف أنهم يسمون الاسم أو الفعل حرفا فقيد كلامه بأن قال: وقسموا الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وأراد سيبويه أن الكلام ينقسم إلى ذلك قسمة (الكلي)[8] إلى أجزائه لا قسمة الكلي إلى جزئياته، كما يقول الفقهاء بأن القسمة كما يقسم العقار والمنقول بين الورثة فيعطى هؤلاء قسم غير قسم هؤلاء، كذلك الكلام هو مؤلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني،

---

(١) ليست في: (ق) (ر).

(٢) في (ر): "تنصقون".

(٣) في (ق): "زا".

(٤) في (ظ): "صلم".

(٥) في (ر): عنوان "اصطلاح النحاة في تقسيم الكلمة ومن اعترض عليه".

(٦) في (ط): كلمة مضروبة.

(٧) انظر كتاب سيبويه (١/١٢).

(٨) في (ق)(ر): "الكل".

فهو مقسوم إليها وهذا التقسيم غير تقسيم الجنس إلى أنواعه كما يقال: الاسم ينقسم إلى معرب ومبني .

وجاء الجزولي(١) وغيره فاعترضوا على النحاة في هذا ولم يفهموا كلامهم فقالوا: كل جنس قسم إلى أنواعه أو أشخاص أنواعه فاسم المقسوم صادق على الأنواع والأشخاص وإلا فليست أقساما له، وأرادوا بذلك الاعتراض على قول الزجاج(٢): الكلام اسم وفعل وحرف، والذي ذكره الزجاج هو الذي ذكره سيبويه وسائر أئمة النحاة، وأرادوا بذلك القسمة الأولى المعروفة وهي قسمة الأمور الموجودة إلى أجزائها، كما يقسم العقار والمال، ولم يريدوا بذلك قسمة الكليات التي لا توجد كليات إلا في الذهن، كقسمة الحيوان إلى ناطق وبهيم وقسمة الاسم إلى المعرب والمبني، فإن المقسم هنا هو معنى عقلي كلي لا يكون كليا إلا في الذهن.

---

(١) أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى اليزدكنتي الجزولي البربري المراكشي إمام النحو في زمانه ، حج، ولازم ابن بري، وأتقن عنه العربية واللغة، وسمع صحيح البخاري، وتصدر بالمرية وغيرها، وتخرج به أئمة، وكان إماما لا يجارى، اعتنى بمقدمته الاذكياء، وشرحوها، توفي بأزمور من عمل مراكش سنة سبع وست مئة، وقيل سنة ست، وولي خطابة مراكش، وكان في طلبه بمصر فقيرا يخرج إلى القرى فيصلي بهم، وأخذ مذهب مالك بمصر.

انظر: سير أعلام النبلاء (٢١ / ٤٩٧).

(٢) أبو اسحاق الزجاج ابراهيم بن السري بن سهل،: عالم بالنحو واللغة، ولد سنة (٢٤١هـ) وتوفي سنة (٣١١ هـ) في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره، من كتبه معاني القرآن و الاشتقاق

انظر: سير أعلام النبلاء (١٤ / ٣٦٠)، الأعلام (١ / ٤٠).

فصل[1]

ولفظ "الحرف" يراد به حروف المعاني[2] التي هي قسيمة الأسماء والأفعال: مثل حروف الجر والجزم وحرفي التنفيس والحروف المشبهة للأفعال مثل " إن وأخواتها " وهذه الحروف لها أقسام معروفة في كتب العربية، كما يقسمونها بحسب الإعراب إلى ما يختص بالأسماء وإلى ما يختص بالأفعال ويقولون: ما اختص بأحد النوعين ولم يكن كالجزء منه كان عاملا كما تعمل حروف الجر، وإن وأخواتها في الأسماء وكما تعمل النواصب والجوازم في الأفعال، بخلاف حرف التعريف وحرفي التنفيس كالسين وسوف، فإنهما لا يعملان لأنهما كالجزء من الكلمة ويقولون: كان القياس في ما أنها لا تعمل، لأنها تدخل على الجمل الاسمية والفعلية، ولكن أهل الحجاز أعملوها لمشابهتها (لليس)[3] وبلغتهم جاء القرآن في قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[4] ، وقوله: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾[5]، ويقسمون الحروف باعتبار معانيها إلى حروف استفهام، وحروف نفي، وحروف (تحضيض)[6] وغير ذلك، ويقسمونها باعتبار بنيتها، كما تُقسم الأفعال والأسماء إلى مفرد وثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي، فاسم الحرف هنا منقول عن اللغة إلى عرف النحاة بالتخصيص، وإلا فلفظ الحرف في اللغة يتناول الأسماء والحروف والأفعال، وحروف الهجاء تسمى حروفا وهي أسماء ، كالحروف المذكورة في أوائل السور، لأن مسماها هو الحرف الذي هو حرف الكلمة، وتُقسم تقسيما آخر إلى حروف حلقية وشفهية، والمذكورة في أوائل السور في القرآن هي نصف الحروف، واشتملت من كل صنف على أشرف نصفيه على

---

(١) في (ر): عنوان "تقسيم النحاة والمقرئين للحروف ومعنى الحرف في اللغة".

(٢) قال سيبويه: وأما ما جاء لمعنًى وليس باسم ولا فعلٍ فنحو ثُمَّ وسَوْف و واو القسم ولام الإضافة ونحوها.

انظر: كتاب سيبويه (١ / ١٢).

(٣) في (ظ): " ليس ".

(٤) سورة يوسف: ٣١.

(٥) سورة المجادلة: ٢.

(٦) في (ظ): "تخصيص".

نصف الحلقية والشفهية والمطبقة، والمصمتة وغير ذلك من أجناس الحروف[١]، فإن لفظ الحرف أصله في اللغة هو الحد والطرف كما يقال: حروف الرغيف و(حرف)[٢] الجبل، قال الجوهري: حرف كل شيء طرفه، وشفيره وحده، ومنه حرف (الجبل)[٣] وهو أعلاه المحدد[٤]، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾[٥]، فإن طرف الشيء إذا كان الإنسان عليه لم يكن مستقرا، فلهذا كان من عبد الله على السراء دون الضراء عابدا له على حرف، تارة يظهره وتارة ينقلب على وجهه، كالواقف على حرف الجبل، فسميت حروف الكلام حروفا، لأنها طرف الكلام وحده ومنتهاه، إذ كان مبدأ الكلام من نفس المتكلم ومنتهاه حده وحرفه القائم بشفتيه ولسانه، ولهذا قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴾[٦] فلفظ الحرف يراد به هذا و هذا و هذا .

[ ][٧] ثم إذا كُتب الكلام في المصحف سموا ذلك حروفا، فيراد بالحرف الشكل المخصوص، و(لكل أمة)[٨] شكل مخصوص، هي خطوطهم التي يكتبون بها كلامهم، (وتراد بها)[٩] المادة،

(١) قال ابن كثير: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفاً وهي – ا ل م ص ر ك ه ي ع ط س ح ق ن – يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عدداً والمذكور منها أشرف من المتروك وبيان ذلك من صناعة التصريف.

انظر: تفسير ابن كثير / (١ / ١٧٨)

(٢) في (ر): "حروف".

(٣) في (ر): "الحبل".

(٤) حرف: الحاء و الراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، والتقدير، قال الجوهري: حرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده. ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد.

انظر: معجم مقاييس اللغة (١/٢٥٥)، الصحاح (١/٢٤٠).

(٥) سورة الحج: ١١.

(٦) سورة البلد: ٨ — ٩.

(٧) في (ر): عنوان "تعليم الانسان بالقلم وأول ما أنزاه الله تعالى من القرآن".

(٨) في (ر): "ولكلامه".

(٩) في (ق)(ر): "يراد به".

(وتراد)[١]به مجموعهما، وهذه الحروف المكتوبة تطابق الحروف المنطوقة وتبينها وتدل عليها فسميت بأسمائها، إذ كان الإنسان يكتب اللفظ بقلمه، ولهذا كان أول ما أنزل الله على نبيه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٢]، فبين سبحانه في أول ما أنزله أنه سبحانه هو الخالق الهادي الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى كما قال موسى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٣] {(فالخلق)[٤] يتناول كل ما سواه من المخلوقات}[٥] ثم خص الإنسان فقال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾[٦] ثم ذكر أنه علم، فإن الهدى والتعليم هو كمال المخلوقات .

والعلم له ثلاث مراتب علم بالجنان وعبارة باللسان وخط بالبنان، ولهذا قيل: إن لكل شيء أربع وجودات، وجود عيني وعلمي ولفظي ورسمي، وجود في الأعيان ووجود في الأذهان واللسان والبنان، لكن الوجود العيني هو وجود الموجودات في أنفسها والله خالق كل شيء، وأما الذهني الجناني فهو العلم بها الذي في القلوب، والعبارة عن ذلك هو اللساني، وكتابة ذلك هو الرسمي البناني[٧]، وتعليم الخط يستلزم تعليم العبارة واللفظ، وذلك يستلزم تعليم العلم [فقال][٨]:

---

(١) في (ق)(ر): "يراد".

(٢) سورة العلق: ١-٥.

(٣) سورة طه: ٥٠.

(٤) في (ظ)(ر): "فالخالق".

(٥) كذا العبارة في جميع النسخ.

(٦) سورة العلق: ٢.

(٧) قال ابن تيمية: يقال للشيء أربع وجودات وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان وجود عيني وعلمي ولفظي ورسمي.
انظر: الصفدية (٢ / ٢٧٧)

(٨) غير واضحة في (ظ).

﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾[1]، لأن التعليم بالقلم يستلزم المراتب الثلاث وأطلق التعليم ثم خص فقال: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] .

[ ][3] وقد تنازع الناس في وجود كل شيء هل هو عين ماهيته أم لا، وقد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع، وبُيّن أنّ الصواب من ذلك، أنه قد يراد بالوجود ما هو ثابت في الأعيان، وبالماهية ما يتصور في الأذهان، فعلى هذا فوجود الموجودات الثابت في الأعيان ليس هو ما هيتها المتصورة في الأذهان، لكن الله خلق الموجود الثابت في الأعيان، وعلم الماهيات المتصورة في الأذهان، كما أنزل بيان ذلك في أول سورة أنزلها من القرآن، وقد يراد بالوجود والماهية (كلاهما)[4]، ما هو متحقق في الأعيان وما هو متحقق في الأذهان، فإذا أريد بهذا وهذا ما هو متحقق في الأعيان، أو ما هو متصور في الأذهان، {فليس هما في الأعيان اثنان}[5]، بل هذا هو هذا، وكذلك الذهن إذا تصور شيئا فتلك الصورة هي المثال الذي تصورها وذلك هو وجودها الذهني الذي (تتصوره)[6] الأذهان، فهذا فصل الخطاب في هذا الباب .

ومن تدبر هذه المسائل وأمثالها تبين له أن أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[7] ، وقد بسط الكلام على أصول هذه المسائل وتفاصيلها في مواضع أخرى، فإن الناس كثر نزاعهم فيها حتى قيل: مسألة الكلام حيرت عقول

---

(١) سورة العلق: ٤ .

(٢) سورة العلق: ٥ .

(٣) في (ر): عنوان "تنازع الناس هل الوجود عين الموجود".

(٤) في (ر): "كليهما".

(٥) العبارة في (ظ): "فليس الأعيان، في إثنان" وفي (ر): "فليس هما اثنين".

قال محقق (ر): كانت في الأصل (في الأعيان) ولم يكن المعنى بها ظاهر.

انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤٢٣/١)

(٦) في (ظ): "تصوره".

(٧) سورة النور: ٤٠ .

الأنام، ولكن سؤال هذين لا يحتمل البسط الكثير، فإنهما (سألا)[1] بحسب ما سمعاه واعتقداه وتصوراه، فإذا عرف السائل أصل مسألته ولوازمها وما فيها من الألفاظ المجملة والمعاني المشتبهة، تبين له أن من الخلق من تكلم في مثل هذه الأسماء بالنفي والإثبات من غير تفصيل، فلا بد له أن يقابله آخر بمثل إطلاقه .

[ ][2] ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان، نوع جاء به الكتاب والسنة، فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله، وينفي ما نفاه الله ورسوله، فاللفظ الذي أثبته الله (أو)[3] نفاه [حق][4]، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها، ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر، ونطيعه في كل ما أوجب وأمر، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان وقد قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[5] .

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة، ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها، حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره.

ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها، أو بَيّن مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سُئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن

---

(١) في (ر): "يسألان".

(٢) في (ر): عنوان "وجوب الاتفاق على ألفاظ الكتاب والسنة وتحكيم الأدلة في غيرهما".

(٣) في (ظ): " و".

(٤) ليست في (ظ)(ر).

(٥) سورة المجادلة: ١١.

من خالفه يكون مخطئا، بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيبا من وجه وهذا مصيبا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث.

وكثير من الكتب المصنفة في (أصول علوم الدين)[1] وغيرها تجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة، كمسألة القرآن، والرؤية والصفات، والمعاد، وحدوث العالم وغير ذلك يذكر أقوالا متعددة، والقول الذي جاء به الرسول، وكان عليه سلف الأمة، ليس في تلك الكتب؛ [بل][2] ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به، وهذا من أسباب توكيد التفريق والاختلاف بين الأمة، وهو مما نهيت الأمة عنه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[3]، قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة[4] .

وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[6]، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فقال: "أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض [انظروا][7] ما أمرتم به فافعلوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه"[8] ومما أمر الناس به أن يعملوا بمحكم القرآن ويؤمنوا بمتشابهه .

---

(١) العبارة في (ظ): "العلوم أصول الدين "، وفي (ر): "أصول العلوم الدين".

(٢) ليست في (ر).

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥ – ١٠٦.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢ / ٧٤٧)، فتح القدير (١/٥٥٩).

(٥) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٦) سورة البقرة: ١٧٦.

(٧) غير واضحة في (ظ).

(٨) انظر: سنن الترمذي: ٣٠- كتاب أبواب القدر / ١- باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر / رقم الصفحة (١/١٨٦٥) / رقم الحديث (٢١٣٣)، قال أبو عيسى وفي الباب عن عمر و عائشة و

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد (كتبت)[1] في أصول هذه المسائل قواعد متعددة، وأصولا كثيرة، ولكن هذا الجواب كتب وصاحبه مستوفز في قعدة واحدة، والله تعالى يهدينا وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

أنس وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري و صالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها.

قال الشيخ الألباني: حسن.

انظر: صحيح سنن الترمذي: ٣٠ - كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / ١- باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر / رقم الصفحة (٤٣٩/٢) / رقم الحديث (٢١٣٣).

(١) في (ظ)(ر): "كتب ".

تمت

ولله الحمد والمنة

نهاية قسم التحقيق

نتائج البحث والتوصيات:

بحمد الله وفضله على أن أعانني على اكمال الرسالة وما فُتح به عليّ فيها وسهله فله الحمد أجمع، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو خلل فمن الشيطان، ومن نفسي القاصرة المقصرة، والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أنسب إلى الله جلا وعز أو إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يصح عنهما، أو لهما.

ثم هذا عمل بشري مقدر عليه النقص، وهو جهد مقلٍ، وعملُ مقصرٍ، من ذي بضاعة مزجاة، عاورته الأشغال الواجبة، والاشتغال بأمور الحياة اللازمة، مع المكدرات القاطعة، والظروف القاهرة، مع قصر المدة الفاعلة، وتبدل الأحوال الحاجبة، جاء هذا العمل بصورته الحالية، غير مرضية، ففي النفس منه نهمة، فالقلم فيه لم يكتمل، والعلم في زيادة، والوقت على ما قيل سريع التقضي، فرحم الله من رأى فيه عيبا فأصلحه، أو خللا فسده، أو نقصا فزاده، بتوجيه أو بيان أو تذييل أو إكمال، فجزاه رب خير ما جزاء عامل في عمله.

وهنا قبل الختام أبين أهم النتائج التي توصلت إليها وقدمتها في بحثي أضعها على شكل نقاط متسلسلة وهي:

أولاً: تحصل لي في بحثي نسخ خطية قديمة النسخ لكل رسالة نسخة وبعضها نسختان، لم يُعرف أن أحدا خرجها.

ثانيا: جمعت هذه الرسالة في رسائلها الخمس كل ما يُعرف من الأصول المخطوطة والمطبوعة؛ بحيث صارت في متناول اليد بكتاب واحد، تجمع اختلاف النسخ وتبينه وتقارب بينها.

ثالثا: تم تحقيق النص وإيجاد الفروق بين النسخ وتمييزها وتبيين الصواب من الخطأ، والأصح من الصحيح، وبيان الطمس والسقط فيها.

رابعا: في حال الاختلاف أبقيت النصوص كما هي من مصادرها في الحاشية، فإن كان الاختلاف مقبولا أو مستساغ تركته بدون تعليق، وإن كان متباينا الخلاف ذكرت الأقرب أو الأصوب أو الصحيح في أي النسخ هو.

خامسا: عزوت الآيات إلى محلاتها بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذكرت تعليقات بعض علماء التفسير فيما يلزم بيانه.

سادسا: خرجت الأحاديث من مصادرها ومراجعها، وذكرت الحكم عليها من أهل الفن المعروفين به.

سابعا: هذا البحث متخصص في جمع وبيان القول في صفات الله عند أهل السنة والجماعة، من أدلة النقل -الكتاب والسنة-والعقل بقسميه الدليل العقلي الشرعي والدليل العقلي المحض، مع الدليل اللغوي، ودليل الاجماع الشرعي والعقلي واللغوي، والقياسات الحقة.

ثامنا: من نتائج البحث أن كل حجة يحتج بها المخالف تكون إما منقطعة غير تامة أو غير صحيحة أو على غير وجهها، فبالجملة حجة مردودة، وكل ايراد يأتي به المخالف لقول أهل السنة فهو ايراد له ما يحل اشكاله.

تاسعا: تميزت هذه الرسائل بأنها خلاصة المطولات ومختصر لكثير من الكلام في هذه المسائل الكبار.

عاشرا: ينبغي أن يعتنى بمثل هذه البحوث التي هي نصرة للحق وأهله، ورد للبدع وأهلها، وتكثيرا لكتب أهل السنة، وتنويعها، ونشرها.

اللهم

تقبل منا إنك السميع العليم

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا.